مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم: ٤٢٩٩ ف ٨١٨٩٧

العنوان: (كتاب من أصول الدين)

المؤلف: لم يسم المؤلف

تاريخ النسخ: الثالث عشر الهجري

اسم الناسخ:

عدد الأوراق: ٤٤ق ٢٢×١٦,٥سم

ملاحظات: ٢١٤

ل

King Saud University 1957

جامعة الملك سعود

Copyright © King Saud University

٢١٤
ك
(كتاب فى أصول الدين)، قطعة منه. كتب فى القرن الثالث عشر الهجرى تقديرا.
٤١ق ٢٤س ١٦٫٥×٢٢سم

٤٣٩٩ نسخة حسنة، خطها نسخ مقروء، ناقصة الأول والأثناء والآخر

١- أصول الدين أ- تاريخ النسخ

Copyright © King Saud University

بلغ مقابلة

المتكلمة والمتفلسفة وان كان ما عندهم من حق فهو جزء مما دل عليه القرآن في غير موضع
والمقصود هنا ان هؤلاء لما كان هذا اصلهم في ابتداء الخلق وهو القول باثبات
الجوهر الفرد كان اصلهم في المعاد مبنيا عليه فصاروا على قولين منهم من يقول تعدم الجواهر
ثم تعاد ومنهم من قال تفرق الاجزاء ثم تجتمع فاورد عليهم الانسان الذي ياكله حيوان و
ذلك الحيوان اكله انسان اخر فان اعيدت تلك الاجزاء من هذا لم تعد من هذا وارد
عليهم ان الانسان يتحلل دائما فما الذي يعاد اهو الذي كان وقت الموت فان قيل
بذلك لزم ان يعاد على صورة ضعيفة وهو خلاف ما جاءت به النصوص وان كان غير
ذلك فليس بعض الابدان باولى من بعض فادعى بعضهم ان في الانسان
اجزاء اصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي اكله الثاني والعقلاء
يعلمون ان بدن الانسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق فصار ما ذكروه في
المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في انكار معاد الابدان واوجب ان صار طائفة
من النظار الى ان الله يخلق بدنا اخر تعود الروح اليه والمقصود تنعيم الروح و
تعذيبها سواء كانت في هذا البدن او في غيره وهذا ايضا مخالف للنصوص
الصريحة باعادة هذا البدن وهذا المذكور في كتب الرازي فليس في كتبه وامثاله وكتب من
في مسائل اصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول الذي
بعث الله به الرسول وكان عليه سلف الامة وائمتها بل يذكر بحوث المتفلسفة
الملاحدة وبحوث المتكلمين المبتدعة الذين بنوا على اصول الجهمية والقدرية في
مسائل الخلق والبعث والمبدا والمعاد وكلا الطريقين فاسد اذ بنوه على مقدمات
فاسدة والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء من ان الاجسام
تنقلب من حال الى حال انما يذكره عن الفلاسفة والاطباء وهذا القول هو القول
في خلق الله للاجسام التي يشاهد حدوثها انه يقلبها ويحيلها من جسم الى جسم
هو الذي عليه السلف والفقهاء قاطبة والجمهور ولهذا يقول الفقهاء في النجاسة
هل تطهر بالاستحالة ام لا كما تستحيل العذرة رمادا والخنزير وغيره ملحا ونحو
ذلك والمني الذي في الرحم يقلبه الله علقة ثم مضغة وكذلك الثمر يخلق بقلب المادة التي

يخرجها من الشجرة من الرطوبة بنوع الهواء والماء الذي نزل عليها وغير ذلك من المواد
التي يقلبها ثمرة بمشيئته وقدرته وكذلك الحب يقلبها وتنقلب المواد التي يخلقها منها
سنبلة وشجرة وغير ذلك وهكذا خلقه لما يخلقه سبحانه وتعالى كما خلق آدم من
الطين فقلب حقيقة الطين فجعلها عظما ولحما وغير ذلك من أجزاء البدن وكذلك
المضغة يقلبها عظاما وغير عظام قال الله تعالى ولقد خلقنا الإنسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا
آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون
وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا كما قال الذي جعل لكم من
الشجر الأخضر نارا فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من الشجر الأخضر جعلها الله
نارا من غير أن يكون كان في الشجر الأخضر نار أصلا كما لم يكن في الشجرة ثمر أصلا
ولا كان في بطن المرأة جنين أصلا بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه
تلك المادة إلى هذا وبما ضمه إلى هذا من مواد أخر وكذلك الإعادة يعيده بعد
أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب وهو إذا
أعاد الإنسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة لهذه فإن هذه
كائنة فاسدة وتلك كائنة لا فاسدة بل باقية دائمة وليس لأهل الجنة فضلات
فاسدة تخرج منهم كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة
لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخطون وإنما هو رشح كرشح المسك
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم
قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين فهم يعودون غلفا لا
يختنون وقال الحسن البصري ومجاهد كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا
شيئا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء وقال قتادة بدأهم من التراب وإلى التراب
يعودون كما قال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وقال
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس

في

في النشأة الثانية بإحياء الأرض بعد موتها في غير موضع كقوله وهو الذي يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء
فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون وقال والأرض مددناها
وألقينا فيها رواسي إلى قوله وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج وقال تعالى يا أيها الناس إن
كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب إلى قوله وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير
وقال تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد
موتها كذلك النشور وهو سبحانه مع إخباره أنه يعيد الخلق وأنه يحيي العظام وهي
رميم وأنه يخرج الناس من الأرض تارة أخرى هو يخبر أن المعاد هو المبتدأ كقوله
تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ويخبر أن الثاني مثل الأول كقوله تعالى وقالوا أئذا كنا
عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض
قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه وقال تعالى وقالوا أئذا
كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا إلى قوله وتظنون
إن لبثتم إلا قليلا وقال تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق
مثلهم بلى وهو الخلاق العليم وقال تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم
يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير وقال تعالى أفرأيتم ما تمنون إلى
قوله ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون والمراد بقدرته على خلق
مثلهم هو قدرته على إعادتهم كما أخبر بذلك في قوله أولم يروا أن الله الذي خلق السموات و
الأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى فإن القوم ما كانوا نازعوا في أن الله
يخلق في هذه الدار بنيا أمثالهم فإن هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرنا بعد قرن يخلق
الولد من الوالدين وهذه هي النشأة الأولى وقد علموها وبها احتج عليهم على قدرته على
النشأة الأخرى كما قال تعالى ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون وقال وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل
خلق عليم وقال يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ولهذا قال نبدل أمثالكم وننشئكم

هو المبتدأ

Copyright © King Saud University

لعله الحسين

لعله انشئت

فيما لا تعلمون قال الحسين بن الفضل البجلي الذي عندي في هذه الآية وننشئكم فيما لا
تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى يخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف
شئت ودلكم انكم علمتم النشأة الاولى كيف كانت في بطون الامهات وليست
الاخرى كذلك ومعلوم ان النشأة الاولى كان الانسان نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم خلقه ثم نفخ فيه الروح وتلك النطفة من مني الرجل والمرأة وهو يغذى بدم الطمث الذي
يربي الله به في ظلمات ثلاث ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن والنشأة الثانية
لا يكونون في بطن امرأة ولا يغذون بدم ولا يكون احدهم نطفة رجل وامرأة ثم يصير
علقة بل ينشؤن نشأة اخرى وتكون المادة من التراب كما قال منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقال تعالى فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
وقال والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وفي الحديث ان
الارض تمطر مطرا كمني الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات كما قال تعالى وكذلك تخرجون
كذلك النشور كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون فعلم ان النشأتين نوعان تحت
جنس يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه ويفترقان ويتنوعان من
وجه اخر ولهذا جعل المعاد هو المبدأ وجعل مثله ايضا فباعتبار اتفاق المبدأ
والمعاد فهو هو وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله وهكذا كل ما
اعيد فلفظ الاعادة يقتضي المبدأ والمعاد سواء في ذلك اعادة الاجسام والاعراض
كاعادة الصلاة وغيرها فان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي خلف الصف وحده
فامره ان يعيد الصلاة ويقال للرجل اعد كلامك وفلان قد اعاد كلام فلان بعينه و
يعيد الدرس فالكلام هو الكلام وان كان صوت الثاني غير صوت الاول وحركته و
لا يطلق القول عليه انه مثله بل قد قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وان كان يسمى مثلا معيدا له فيقال لمن حكى كلام غيره
هكذا قال فلان اي مثل هذا قال ويقال فعل هذا عودا على بدء اذا فعله مرة ثانية
بعد اول ومنه البئر البدي والبئر المعادة فالبدي التي ابتدئت والعادية التي اعيدت
وليست بنسبة الى عاد كما قيل ويقال استعدته الشيء فاعاده اذا سألته ان يفعله مرة
ثانية ومنه سميت العادة يقال عاده واعتاده وتعوده اي صار

تمطر

عادة له

٣

عادة له وعود كلبه الصيد فتعوده وهو من المعاودة والمعاودة الرجوع الى
الامر الاول ويقال الشجاع معاود لانه لا يمل المراس وعاودته الحمى وعاوده
بالمسألة اي سأله مرة بعد مرة وتعاوده القوم في الحرب وغيره اذا عاد كل فريق
الى صاحبه والعواد بالضم ما اعيد من الطعام بعدما اكل منه مرة اخرى وعواد
بمعنى عد مثل نزال بمعنى انزل ففي جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الاعادة
باعتبار الحقيقة فان الحقيقة الموجودة في المرة الثانية هي الاولى وان تعدد الشخص
ولهذا يقال هو مثله ويقال هذا هو هذا وكلاهما صحيح واعني بالحقيقة
الامر الذي يختص بذلك الشخص ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين فان
من فعل غيره لا يقال اعاده وانما يقال حاكاه وشابهه بخلاف ما اذا فعل فعل
ثانيا مثل ما فعل اولا فانه يقال اعاد فعله وكذلك يقال لمن اعاد كلام غيره قد
اعاده ولا يقال لمن انشأ مثله قد اعاده ويقال فلان يقرأ على هذا واعاد على هذا هذا
يقرأ او يدرس وهذا يعيد ولو كان كلاما اخر مماثلا لم يقل فيه يعيد وكذلك
من كسر خاتما او غيره من المصوغ يقال اعده كما كان ويقال لمن هدم دارا اعدها
كما كانت بخلاف من انشأ اخرى مثلها فان هذا الاسم يعيد او المعاد يقال فيه
هذا هو الاول بعينه ويقال هذا مثل الاول من كل وجه ونحو ذلك من العبارات
هذا هو هو من وجه وهو مثله من وجه وبهذا تزول الشبهات الوارده
الداله على انه هو هو من قال الاعاده لا تكون الا مع اعادة ذلك الزمان
على هذا الموضع كقول في صريح العقل وانما يعاد بالاتيان بمثله وان قال
ونحو ذلك مما يمتنع اعادته
بعض المتكلمين انه لا مغايرة اصلا بوجه من الوجوه والاعادة التي اخبر
الله بها هي الاعادة المعقولة في هذا الخطاب وهي الاعادة التي فهمها المشركون
والمسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي التي يدل عليها لفظ الاعادة والمعاد
هو الاول بعينه وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البداءة فرق فذلك الفرق
لا يمنع ان يكون قد اعيد الاول لان بعض الثاني مباين للاول من كل وجه كما زعم
بعضهم وان النشأة الثانية كالاولى من كل وجه كما ظن بعضهم وكما ان سبحانه خلق
الانسان ولم يكن شيئا كذلك يعيده بعد ان لم يكن شيئا وعلى هذا فالانسان الذي

جوهر

مثل فعل صح

لعله

كلا ان الجسد

ولا ان النشأة اخ

صار ترابا ونبت من ذلك التراب نبات اكله انسان اخر وهلم جرا والانسان الذي اكله
انسان او حيوان واكل ذلك الحيوان انسان اخر ففي هذا كله قد عدم هذا الانسان وهذا
الانسان وصار كل منهما ترابا كما كان قبل ان يخلق ثم يعاد هذا ويعاد هذا من التراب
انما يبقى عجب الذنب منه خلق ومنه ركب واما سايره فعدم فيعاد من المادة
التي استحال اليها فاذا استحال في القبر الواحد الف ميت وصاروا كلهم ترابا فانهم
يعادون ويقومون من ذلك القبر وينشيهم الله تعالى بعد ان كانوا عدما محضا كما
انشاهم اولا بعد ان كانوا عدما محضا واذا صار الف انسان ترابا في قبر انشاهم الله
كلهم من ذلك القبر من غير ان يحتاج ان يخلقهم كما خلقهم في النشاة الاولى انه خلقهم
منها من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وجعل نشاتهم بما يستحيل الى ابدانهم من الطعام
والشراب كما يستحيل الى بدن احدهم ما ياكله من نبات وحيوان وكذلك لو اكل انسانا
واكل جميعا انما تاكل انسانا فالنشاة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الاستحالة بل يعيد
الاجساد من غير ان ينقلهم من نطفة الى علقة الى مضغة ومن غير ان يغذوها بدم الطمث
ومن غير ان يغذوها بلبن الام وبساير ما ياكله من الطعام والشراب فمن ظن ان
الاعادة تحتاج الى اعادة الاغذية التي استحالت الى ابدانهم فقد غلط وحينئذ فاذا
اكل انسان انسانا فانما صار غذاله كساير الاغذية وهو لا يحتاج الى اعادة الاغذية
ومعلوم ان الغذا ينزل الى المعدة طعام وشراب ثم يصير كلوسا كالثردة ثم كيموسا
كالحريرة ثم ينطبخ دما فيقسمه الله تعالى في البدن كله وياخذ كل جزء من البدن نصيبه
فيستحيل الدم الى شبيه ذلك الجزء العظم عظما واللحم لحما والعرق عرقا وهذا في الرزق
كما استحالتهم في مبدا الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة وكان الله سبحانه لا يحتاج في
الاعادة الى ان يجعل احدهم نطفة ثم علقة ثم مضغة فكذلك اغذيتهم لا يحتاج ان يجعلها
فاكهة ولحما ثم يجعلها كلوسا وكيموسا ثم دما ثم عظما ولحما وعرقا بل يعيد هذا البدن
على صفة اخرى بنشاة ثانية ليست مثل هذه النشاة كما قال وننشئكم فيما لا تعلمون
ولا يحتاج مع ذلك الى شي من هذه الاستحالات التي كانت في النشاة الاولى وبهذا ظهر الجواب
عن قول البدن دايما في التحلل فان تحلل البدن ليس اعجب من انقلاب النطفة علقة
والعلقة مضغة وحقيقة كل منهما خلاف حقيقة الاخرى واما البدن المتحلل

فالاجزا

بل دخان الحطب يسمى بخارا فقال الجوهري البخار ما يرتفع من الماء كالدخان والبخور
بالفتح ما يتبخر به لكن انما يصير الهواء نارا بعد ان تذهب المادة التي انقلبت نارا
كالحطب والدهن فلم تتولد النار الا من مادة كما لم يتولد الحيوان الا من مادة

فصل والمقصود ان كلما استعمل فيه لفظ التولد من الاعيان
القايمة فلا بد ان يكون من اصلين ومن انفصال جزء من الاصل واذا قيل في الشبع
والري انه متولد او في زهوق الروح ونحو ذلك من الاعراض انه متولد فلا بد في
جميع ما يستعمل فيه هذا اللفظ من اصلين لكن العرض يحتاج الى محل لا يحتاج
الى مادة تنقلب عرضا بخلاف الاجسام فانها انما تخلق من مواد تنقلب حتى انها
كما تنقلب الى نوع اخر كانقلاب الما علقة ثم مضغة وغير ذلك من خلق الحيوان و
النبات واما ما كان من اصل واحد كخلق حوا من الضلع القصرى وهو وان كان
مخلوقا من مادة اخذت من ادم فلا يسمى هذا تولدا ولهذا لا يقال ان ادم والد
حوا ولا يقال انه ابو حوا بل خلق الله حوا من ادم كما خلق ادم من الطين واما
المسيح فيقال انه ولدته مريم ويقال المسيح بن مريم فكان المسيح جزءا من مريم وخلق
بعد نفخ الروح في فرج مريم كما قال تعالى ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها
فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين وفي الاية الاخرى
فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين واما حوا فخلقها الله من
مادة اخذت من ادم كما خلق ادم من المادة الارضية وهي الما والتراب والريح
الذي ايبسه حتى صار صلصالا فلهذا لا يقال ان ادم ولد حوا ولا ان ادم ولد التراب
ويقال في المسيح ولدته مريم فانه كان من اصلين من مريم ومن النفخ الذي نفخ فيها
جبريل قال الله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام و
لم يمسسني بشر ولم اك بغيا الى اخر القصة فبين انها انما حملت به بعد النفخ لم تحمل به من
بل نفخ ثم نفخت فيه روح الحياة كساير الادميين ففرق بين النفخ للحمل وبين
النفخ لروح الحياة فتبين ان ما يقال انه متولد من غيره من الاعيان القايمة

Copyright © King Saud University

بنفسها فلا يكون الا من مادة تخرج من ذلك الوالد ولا يكون الا من اصلين والرب تعالى
صمد فيمتنع ان يخرج منه شيء وهو سبحانه لم يكن له صاحبة فيمتنع ان يكون له ولد
اما ما يستعمل من تولد الاعراض كما يقال تولد الشعاع وتولد العلم عن الفكر و
تولد الشبع عن الاكل وتولدت الحرارة عن الحركة ونحو ذلك فهذا ليس من تولد الاعيان
مع ان هذا لا بد له من محل ولا بد له من اصلين ولهذا كان قول النصارى ان المسيح ابن
الله مستلزما لان يقولوا ان مريم صاحبة الله فيجعلون له زوجة وصاحبة
كما جعلوا له ولدا باي معنى فسروا كونه ابنه فانه تفسر الزوجة بذلك المعنى والادلة
بتنزيهه عن الصاحبة توجب تنزيهه عن الولد فاذا كانوا يصفونه بما هو ابعد
عن اتصافه به كان اتصافه بما هو اقل بعدا لازما لهم وقد بسط هذا في الرد على
النصارى

فصل

وهذا مما يبين ان ما نزه الله نفسه ونفاه بقوله لم
يلد ولم يولد يتناول الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقوله وجعلوا
لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون
بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل
شيء عليم يعم جميع الانواع التي تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما ان ما نفاه من
اتخاذ الولد يعم ايضا جميع انواع الاتخاذات الاصطفائية كما قال تعالى وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق الآية
قال السدي قالوا ان الله اوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرك من الولد فادخلهم
النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد اخرجوا
كل مختون من بني اسرائيل وقد قال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وقال
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا
وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال و
قالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول الى قوله كذلك نجزي
الظالمين وقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون

الى

الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون وقال لا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما
مدحورا الى قوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقال فاستفتهم الربك البنات ولهم
البنون الى قوله ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وقال افرايتم اللات والعزى و
مناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى الى قوله ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى وقال تعالى وجعلوا له من عباده جزءا قال بعض المفسرين
جزءا اي نصيبا وبعضا وقال بعضهم جعلوا لله نصيبا من الولد وعن قتادة و
مقاتل عدلا وكلا القولين صحيح فانهم يجعلون له ولدا والولد يشبه اباه ولهذا
قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا اي البنات كما قال
في الاية الاخرى واذا بشر احدهم بالانثى فقد جعلوها للرحمن مثلا وجعلوا له من
عباده جزءا فان الولد جزء من الوالد كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم انما فاطمة بضعة
مني وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
قال الكلبي نزلت في الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان فالله خالق النور والناس
والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب واما قوله و
جعلوا بينه وبين الجنة نسبا فقيل هو قولهم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنا
لاجتنانهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقتادة وقيل قالوا الحي من الملائكة يقال
لهم الجن ومنهم ابليس هم بنات الله وقال الكلبي قالوا لعنهم الله بل تزوج فخرج منها
الملائكة وقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال بعض المفسرين كالثعلبي هم
كفار العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله واليهود قالوا عزير ابن الله

فصل

والذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما نقل عنهم من انه صاهر
الجن فولدت له الملائكة قد نفاه عنه بامتناع الصاحبة وبامتناع ان يكون منه جزء
فانه صمد وقوله ولم تكن له صاحبة وهذا كما تقدم من ان الولادة لا تكون الا من اصلين
سواء في ذلك تولد الاعيان التي تسمى الجواهر وتولد الاعراض والصفات بل ولا يكون
تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد فاذا امتنع ان يكون له صاحبة امتنع ان
يكون له ولد وقد علموا كلهم ان لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من
الانس فلم يقل احد منهم ان له صاحبة فلهذا احتج بذلك عليهم وما حكي عن بعض كفار

العرب ان ظاهر الخبر فهذا فيه نظر وذلك انه كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه
كثيرة وكذلك ما قالته النصارى من ان المسيح ابن الله وقالته طائفة من اليهود ان
العزير ابن الله فانه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا فان قيل اما علماء النصارى فلا
تنضبط اقوالهم واما الموجود في كلام علمائهم وكتبهم فانهم يقولون ان اقنوم الكلمة
ويسمونها الابن تدرع المسيح اي اتخذه درعا كما يتدرع الانسان قميصه فاللاهوت
تدرع الناسوت ويقولون باسم الاب والابن وروح القدس اله واحد قيل
قصدهم ان الرب موجود حي عليم فالموجود هو الاب والعلم هو الابن والحياة هو روح
القدس هذا قول كثير منهم ومنهم من يقول بل موجود عالم قادر ويقول العلم هو الكلمة
وهو المتدرع والقدرة هي روح القدس وهم مشتركون في ان المتدرع هو اقنوم
الكلمة وهي الابن ثم اختلفوا في التدرع واختلفوا اهل هما جوهران
جوهران وهل هما مشيئة او مشيئتان ولهم في الحلول والاتحاد كلام مضطرب ليس هذا
موضع بسطه فان مقالات النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه فان قولهم
ليس ماخوذا عن كتاب منزل ولا نبي مرسل ولا هو موافق لعقول العقلاء فقالت
اليعقوبية صار جوهرا واحدا وطبيعة واحدة واقنوما واحدا كالماء واللبن
وقالت النسطورية بل هما جوهران وطبيعتان ومشيئتان لكن حل اللاهوت
في الناسوت حلول الماء في الظرف وقالت الملكانية بل هما جوهر واحد مطلب
له مشيئتان وطبيعتان او فعلان كالنار في الحديد وقد ذهب بعض الناس
الى ان قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم اليعقوبية وفي قوله
وقالت النصارى المسيح ابن الله هم الملكانية وقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة هم النسطورية وليس بشي بل الفرق الثلاث تقول المقالات التي حكاها الله
عز وجل عن النصارى فكلهم يقولون ان الله ويقولون انه ابن الله وكتبهم في اما
نتهم التي هم متفقون عليها يقولون انه هو من الحق واما قولهم ثالث ثلاثة
فانه تعالى قال واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني و
امي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فال

الفرق

الفرق بين الجوهر في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قال المفسرون معنى الاية
ان النصارى قالوا الالهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم كل واحد منهم اله وذكر عن
الزجاج الغلو مجاوزة القدر في الظلم وغلو النصارى في عيسى قول بعضهم هو الله وقول
بعضهم هو ابن الله وقول بعضهم هو ثالث ثلاثة وغالب النصارى الذين فسروا
قولهم هو ابن الله بما ذكروه من ان الكلمة هو الابن والفرق الثلاث متفقة على ذلك
فساد قولهم معلوم بصريح العقل من وجوه احدها انه ليس في شي من كلام
الانبيا تسمية صفة الله ابنا لا كلامه ولا غيره فتسميتهم صفة الله ابنا تحريف لكلام الانبيا
عن مواضعه وما نقلوه عن المسيح من قوله عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح
القدس لم يرد بالابن صفة الله التي هي كلمته ولا بروح القدس حياته فانه لا يوجد في كلام
الانبيا ارادة هذا المعنى كما قد بسط هذا في الرد على النصارى **الوجه الثاني**
ان هذه الكلمة التي هي الابن هي صفة الله قائمة به ام هي جوهر قائم بنفسه فان كانت صفته
بطل مذهبهم من وجوه احدها ان الصفة لا تكون الها يرزق ويخلق ويحيي ويميت
والمسيح عندهم الخالق ويرزق ويحيي ويميت فاذا كان الذي تدرعه ليس باله
فهو اولى ان لا يكون الها الثاني ان الصفة لا تقوم بغير الموصوف فلا تفارقه وان
قالوا انزل عليه كلام الله وقالوا انه الكلمة او غيره لكن هذا قدر مشترك بينه وبين
ساير الانبيا الثالث ان الصفة لا تتحد وتتدرع شيا الا مع الموصوف
فيكون الاب نفسه هو المسيح والنصارى متفقون على انه ليس هو الاب فان
قولهم متناقض ينقض بعضه بعضا يجعلونه الها يخلق ويرزق ولا يجعلونه الاب
الذي هو الاله ويقولون اله واحد وقد شبهه بعض متكلميهم كيحيى بن عدي بالرجل
الموصوف بانه طبيب وحاسب وكاتب وله بكل صفة حكم فيقال هذا حق لكن قولهم
ليس نظير هذا فاذا قلتم ان الرب موجود حي عالم وله بكل صفة حكم فمعلوم ان المتحد
كان هو الذات المتصف فالصفات كلها تابعة لها فانه اذا تدرع زيد الطبيب
الحاسب الكاتب درعا كانت الصفات كلها قائمة به وان كان المتدرع صفة دون
صفة عاد المحذور وان قالوا المتدرع الذات بصفة دون صفة لزم افتراق الصفتين

وهذا ممتنع فان الصفات القايمة بموصوف واحد وهي لازمة له لا تفترق وصفات
المخلوقين قد يمكن عدم بعضها مع بقا الباقي بخلاف صفات الرب تعالى الرابع
ان المسيح نفسه ليس هو كلمة الله ولا شيا من صفاته بل هو مخلوق بكلمة الله وسمي كلمة
لانه خلق بكن من غير الحبل المعتاد كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون وقال تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان
لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ولو قدر انه نفس كلام
الله كالتوراة والانجيل وساير كلام الله لم يكن كلام الله ولا شي من صفاته خالقا ولا
ربا ولا الها فالنصارى اذا قالوا ان المسيح هو الخالق تعالى ضالون من جهة
جعل الصفة خالقة ومن جهة جعله هو نفس الصفة وانما هو مخلوق بالكلمة ثم قولهم
بالتثليث وان الصفات ثلاث باطل وقولهم ايضا بالحلول والاتحاد باطل فقولهم
يظهر بطلانه من هذه الوجوه وغيرها فلو قالوا ان الرب له صفات قايمة به ولم يذكروا
اتحادا ولا حلولا لكان هذا قول جماهير المسلمين المثبتين للصفات وان قالوا
ان الصفات اعيان قايمة بنفسها فهذا مكابرة ثم يجمعون بين المتناقضين
وايضا فجعلهم عدد الصفات ثلاثا باطل فان صفات الرب اكثر من ذلك فهو
سبحانه موجود حي عليم قدير والاقانيم عندهم التي جعلوها الصفات ليست
الا ثلاثة ولهذا تارة يفسرونها بالوجود والحياة والعلم وتارة يفسرونها
بالوجود والقدرة والعلم واضطرابهم كثير فان قولهم في نفسه باطل ولا ينضبط
عقل عاقل ولهذا يقال لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على احد عشر
قولا وايضا فكلمات الله كثيرة لا نهاية لها كما قال سبحانه وتعالى قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
وهذا قول جماهير الناس من المسلمين ومن غير المسلمين وهذا مذهب
سلف الامة الذين يقولون لم يزل سبحانه متكلما اذا شا وهو قول من قال انه
لم يزل قادرا على الكلام يتكلم بمشيته كلاما قايما بذاته حادثا وقول من قال
كلامه مخلوق في غيره واما من قال كلامه معناه شي واحد قديم العين فهؤلا
منهم من يقول انه امور لا نهاية لها مع ذلك ومنهم من يقول بل هو معنى واحد

معرفة الاقانيم

الكرامية

الجهمية والمعتزلة

الكلابية والاشعرية

ولكن

ولكن العبارات عنه متعددة وهو لا يمتنع عندهم ان يكون ذلك المعنى قايما بغير الله
وانما يقوم بغيره عندهم العبارات المخلوقة ويمتنع ان يكون المسيح شيا من تلك
العبارات فلا يمتنع ان يكون للمسيح غير كلام الله على قول هولا وعلى قول الجمهور اشد
امتناعا لان كلمات الله كثيرة والمسيح ليس هو جميعها بل ولا مخلوقا بجميعها وانما
خلق بكلمة منها وليس هو عين تلك الكلمة فان الكلمة صفة من الصفات والمسيح
عين قايم بنفسه ثم يقال لهم تسميتكم العلم والكلمة ولدا وابنا تسمية باطلة
باتفاق العلما والعقلا ولم ينقل ذلك عن احد من الانبيا قالوا لان الذات يتولد
عنها العلم والكلام كما يتولد ذلك عن نفس الرجل العالم منها فيتولد من ذاته العلم
والحكمة والكلام فلهذا سميت الكلمة ابنا فيقال هذا باطل من وجوه احدها
ان صفاتنا حادثة تحدث بسبب تعلمنا ونظرنا وفكرنا واستدلالنا واما كلمة الرب
وعلمه فهو قديم لازم لذاته فيمتنع ان يوصف بالتولد الا ان يدعي المدعي ان كل صفة
لازمة لموصوفها متولدة عنه وهي ابن له ومعلوم ان هذا من ابطل الامور في
العقول واللغات فان حيوة الانسان ونطقه وغير ذلك من صفاته اللازمة له لا يقال
انها متولدة عنه وانها ابن له وايضا فيلزم ان تكون حياة الرب ايضا ابنه ومتولدة
وكذلك قدرته والا فما الفرق بين تولد العلم وتولد الحياة والقدرة وغير ذلك من
الصفات وثانيها ان هذا ان كان من باب تولد الجواهر والاعيان القايمة بنفسها
فلا بد له من اصلين ولا بد ان يخرج من الاصل جزء واما علمنا وقولنا فليس عينا
قايما بنفسه وان كان صفة قايمة بموصوف وعرضا قايما في محل كعلمنا وكلامنا فذاك
ايضا لا يتولد الا عن اصلين ولا بد له من محل يتولد فيه والواحد منا لا يحدث له العلم
والكلام الا بمقدمات تتقدم على ذلك وتكون اصلا للفروع ويحصل العلم والكلام
في محل لم يكن حاصلا فيه قبل ذلك فان قلتم ان علم الرب كذلك لزم ان يصير عالما
بالاشيا بعد ان لم يكن عالما وان تصير ذاته متكلمة بعد ان لم يكن متكلما وهذا
مع انه كفر عند جماهير الامم من المسلمين والنصارى وغيرهم فهو باطل في صريح العقل
فان الذات التي لا تكون عالمة يمتنع ان تجعل نفسها عالمة الا احد يعلمها وايضا
يمتنع عليه ان يكون متعلما من مخلوق وكذلك الذات التي تكون عاجزة عن الكلام

Copyright © King Saud University

لعله منا

يمتنع ان تصير قادرة عليه بلا احد يجعلها قادرة والواحد منها لا يولد جميع علومه
بل له علوم خلقت فيه لا يستطيع دفعها فاذا نظر فيها حصلت له علوم اخرى فلا
يقول احد من بني ادم ان الانسان يولد علومه كلها ولا يقول احد ان يجعل نفسه
متكلما بعد ان لم تكن متكلمة بل الذي يقدر على النطق هو الذي انطق كل شي فان
قالوا ان الرب يولد بعض علمه وكلامه دون بعض بطل تسمية العلم الذي هو
الكلمة مطلق الابن وصار لفظ الابن انما يسمى به بعض علمه او بعض كلامه وهم يدعون
ان المسيح هو الكلمة وهو اقنوم العلم مطلقا وذلك ليس متولدا عنه كله ولا يسمى كله
ابنا باتفاق العقلا وان اشتهوا ان يقال تسمية علم العالم وكلامه ولدا له لا يعرف
في شي من اللغات المشهورة وهو باطل بالعقل فان علمه وكلامه كقدرته وعلمه فان
جاز هذا جاز تسمية صفات الانسان كلها الحادثة متولدات عنه وتسميتها ابناه و
من [illegible] من اهل الكلام القدرية ان العلم الحاصل بالنظر متولد عنه فهو
كقولهم ان الشبع والري متولد عن الاكل والشرب ثم لا يقولون ان العلم ابنه وولده كما
لا يقولون ان الشبع والري ابنه ولا ولده لان هذا من باب تولد الاعراض والمعاني
القائمة بالانسان وتلك لا يقال انها اولاده وابناؤه ومن استعار فقال بنيات
فكره فهو كما يقال بنيات الطريق ويقال ابن السبيل ويقال للطير ابن ماء
وهذه تسمية مقيدة قد عرف انها ليس المراد بها ما هو المعقول من الاب
والابن والوالد والولد وايضا فكلام الانبيا ليس في شي منه تسمية شي من صفات الله
ابنا فمن حمل شيا من كلام الانبيا على ذلك فقد كذب عليهم وهذا مما يقر به علما
النصارى وما وجد عندهم واما من لفظ الابن في حق المسيح واسرائيل وغيرهما
هو اسم للمخلوق لا لشي من صفات الخالق والمراد به انه مكرم معظم وان [illegible]
يقال لهم اذا قدر ان الامور كما ذكروا لم يحصل للمسيح ان كان هو ما علمه الله اياه من
علمه وكلامه فهذا موجود لسائر النبيين فلا معنى لتخصيصه بكونه ابن الله وان
كان هو ابن العلم والكلام الذي اتحد به فيكون العلم والكلام جوهرا قائما بنفسه
فان كان هو الاب فيكون المسيح هو الاب وان كان العلم والكلام جوهرا اخر
فيكون الالهة ثلاثة قايمين بانفسهما فخامسها الذي يقال له المعلوم عند الخاصة

والعام

لعله العلم

لعله الامر

٦

السنة ولان هؤلاء لما يستدل به هو ويستدل به عليه منازعه هذه الايات
واحاديث لا يعلم معناها احد من البشر فامسكوا عن الاستدلال بها وكان
الامام احمد ينكر طريقة اهل البدع الذين يفسرون القران برايهم وتاويلهم من غير
استدلال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة والتابعين الذين بلغهم
الصحابة معاني القران كما بلغوهم الفاظه ونقلوا هذا كما نقلوا هذا لكن اهل
البدع يتاولون النصوص بتاويلات تخالف مراد الله ورسوله ويدعون ان هذا
هو التاويل الذي لا يعلمه الا الراسخون وهم مبطلون في ذلك لا سيما تاويلات القرامطة
والباطنية الملاحدة وكذلك اهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية وغيرهم
ولكن هؤلاء يعترفون بانهم لا يعلمون التاويل وانما غايتهم ان يقولوا ظاهر
هذه الاية غير مراد ولكن يحتمل ان يراد كذا وان يراد كذا ولو تاولها الواحد منهم
بتاويل معين فهو لا يعلم انه مراد الله ورسوله بل يجوز ان يكون مراد الله ورسوله
عندهم غير ذلك كالتاويلات التي يذكرونها في نصوص الكتاب كما يذكرونه في قوله
وجاء ربك والملك صفا صفا وينزل ربنا والرحمن على العرش استوى وكلم الله موسى
تكليما وغضب الله عليهم وانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وامثال
ذلك من النصوص فان غاية ما عندهم يحتمل ان يراد به كذا ويجوز كذا ونحو ذلك
وليس هذا علما بالتاويل وكذلك كل من ذكر في نص اقوالا واحتمالات و
لم يعرف المراد فانه لم يعرف تفسيره وتاويله وانما يعرف ذلك من عرف المراد ومن
زعم من الملاحدة ان الادلة السمعية لا تفيد العلم المضمون فمن لوازمه ان لا يعلم احد
تفسير المحكم ولا تفسير المتشابه ولا تاويل ذلك وهذا اقرار منه على نفسه بانه ليس
من الراسخين في العلم الذين يعلمون تاويل المتشابه فضلا عن تاويل المحكم واذا انضم
الى ذلك ان يكون كلامهم في العقليات فيه من السفسطة والتلبيس ما لا يكون معه
دليل على الحق لم يكن لهؤلاء لا معرفة بالسمعيات ولا بالعقليات وقد اخبر الله عن
اهل النار انهم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ومدح الذين
اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يفقهون ويعقلون وذم الذين
لا يفقهون ولا يعقلون في غير موضع من كتابه واهل البدع المخالفون للكتاب
والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق وهم من اجهل الناس بالسمعيات
والعقليات وهم يجعلون الفاظهم المجملة المتشابهة تتضمن حقا وباطلا

لعله عند

Copyright © King Saud University

يجعلونها هي الاصول المحكمه ويجعلون ما عارضها من نصوص الكتاب والسنه
من المتشابه الذي لا يعلم معناه عندهم الا الله وما يتاولونه بالاحتمالات لا يفيد
ويجعلون البراهين شبهات والشبهات براهين كما قد بسط ذلك في موضع اخر
وقد نقل القاضي ابو يعلى عن الامام احمد انه قال المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج
الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان وكذلك قال الامام احمد في روايه وعن
الشافعي قال المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل
من التاويل وجوها وكذلك قال الامام احمد وكذلك قال ابن الانباري المحكم
ما لم يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه الذي تعتوره التاويلات
فيقال حينئذ فجميع الامه سلفها وخلفها يتكلمون في معاني القران التي تحتمل
التاويلات وهولاء الذين ينصرون ان الراسخين في العلم لا يعلمون معنى المتشابه
هم من اكثر الناس كلاما فيه والايمه كالشافعي واحمد ومن قبلهم كلهم يتكلمون
فيما يحتمل معاني ويرجحون بعضها على بعض بالادله في جميع مسايل العلم
الاصوليه والفروعيه لا يعرف عن عالم من علما المسلمين انه قال عن نص احتج
به محتج في مساله ان هذا لا يعرف احد معناه فلا يحتج به ولو قال احد ذلك لقيل
له مثل ذلك ولو ادعى في مسايل النزاع المشهوره بين الايمه ان نصا محكم يعلم معناه
وان النص الاخر متشابه لا يعلم احد معناه قوبل بمثل هذه الدعوى وهذا خلاف
قول القايل ان من النصوص ما معناه جلي واضح ظاهر لا يحتمل الا وجها واحدا
لا يقع فيه اشتباه ومنها ما هو فيه خفا واشتباه يعرف معناه الراسخون في العلم
فان هذا مستقيم صحيح وحينئذ فالخلوض في المتشابه يدل على انه كله
يعرف معناه فمن قال انه لا يعرف معناه يحتاج على ذلك وايضا فما ذكره
السلف والخلف في المتشابه يدل على انه كله نعرف معناه فمن قال ان المتشابه
هو المنسوخ فمعنى المنسوخ معروف وهذا القول ماثور عن ابن مسعود وابن
عباس وقتاده والسدي وغيرهم وابن مسعود وابن عباس وقتاده هم الذين
نقل عنهم ان الراسخين في العلم لا يعلمون تاويله ومعلوم قطعا باتفاق المسلمين
ان الراسخين يعلمون معنى المنسوخ وانه منسوخ فكان هذا النقل عنهم
يناقض ذلك النقل ويدل على انه كذب ان كان هذا ضعيفا والا تعارض النقلان
عنهم والمتواتر عنهم ان الراسخين يعلمون معنى المتشابه والقول الثاني

ماثور

ماثور عن جابر بن عبد الله انه قال المحكم ما علم العلما تاويله والمتشابه ما لم يكن للعلما
الى معرفته سبيل كقيام الساعه ومعلوم ان وقت قيام الساعه مما اتفق
المسلمون على انه لا يعلمه الا الله فاذا ريد بلفظ التاويل هنا كان المراد لا يعلم وقت
تاويله الا الله وهذا حق ولا يدل ذلك على انه لا يعرف معنى الخطاب بذلك وكذلك
ان اريد بالتاويل حقايق ما يوجد وقيل لا يعلم كيفيه ذلك الا الله فهذا قد قدمناه
وذكرنا على قول هولاء من وقف عند قوله وما يعلم تاويله الا الله هو الذي يجب ان
يراد بالتاويل واما ان يراد بالتاويل التفسير ومعرفه المعنى ويقف على قوله الا الله
فهذا خطا قطعا مخالف للكتاب والسنه واجماع المسلمين ومن قال ذلك من المتاخرين
فانه متناقض يقول ذلك ويقول ما يناقضه وهذا القول يناقض الايمان بالله و
رسوله من وجوه كثيره ويوجب القدح في الرساله ولا ريب ان الذين قالوه لم
يتدبروا لوازمه وحقيقته ما اطلقوه وكان اكبر قصدهم دفع تاويلات اهل البدع
المتشابه وهذا الذي قصدوه حق وكل مسلم يوافقهم عليه لكن لا يندفع باطل
بباطل اخر ولا ترد بدعه ببدعه ولا يرد تفسير اهل الباطل للقران بان يقال
الرسول والصحابه كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القران ففي هذا من الطعن
في الرسول وسلف الامه ما قد يكون اعظم من خطا طايفه في تفسير بعض الايات
والعاقل لا يبني قصرا ويهدم مصرا القول الثالث ان المتشابه
الحروف المقطعه في اوايل السور يروى هذا عن ابن عباس وعلى هذا القول فالحروف
المقطعه ليست كلاما تاما من الجمل الاسميه والفعليه وانما هي اسماء موقوفه
ولهذا لم تعرب فان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب وانما نطق بها موقوفه
كما يقال ا ب ت ولهذا تكتب بصوره الحرف لا بصوره الاسم الذي ينطق
به فانها في النطق اسما ولهذا لما سال الخليل اصحابه عن النطق بالزاي من
زيد قالوا زا قال نطقتم بالاسم وانما النطق بالحرف زه فهي في اللفظ اسما وفي الخط
حروف مقطعه الم لا تكتب الف لام ميم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القران
فاعربه فله بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الف حرف
لام حرف وميم حرف والحرف في لغه الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه يتناول

وفعلا وحرفا صح

الذي يسميه النحاة اسما ولهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام اسم وفعل وحرف
جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فانه لما كان معروفا من اللغة ان الاسم حرف والفعل
حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف انه جاء لمعنى
ليس باسم ولا فعل وهذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام واما
حروف الهجا فتلك انما تكتب في صورة الحرف المجرد وينطق بها غير معربة ولا يقال
فيها معرب ولا مبني لان ذلك انما يقال في المؤلف فاذا كان على هذا القول كل
ما سوى هذه محكم حصل المقصود فانه ليس المقصود الا معرفة كلام الله و
كلام رسوله ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها اكثر الناس
فان كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وان لم يكن معروفا وهي المتشابه
كان ما سواها معلوم المعنى وهذا المطلوب وايضا فان الله تعالى قال
منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وهذه الحروف ليست
ايات عند جمهور العادين وانما يعدها ايات الكوفيون وسبب نزول هذه
الاية الصحيح يدل على ان غيرها ايضا متشابه ولكن هذا القول يوافق ما نقل
عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجا والرابع ان المتشابه ما
اشتبهت معانيه قاله مجاهد وهذا يوافق قول اكثر العلما وكلهم تكلم في
تفسير هذا المتشابه وبين معناه والخامس ان المتشابه ما
تكررت الفاظه قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال المحكم ما ذكر الله في كتابه من
قصص الانبيا ففصله وبينه والمتشابه هو ما اختلف الفاظه في قصصهم
عند التكرير كما قال في موضع من قصة نوح احمل وقال في موضع اخر
اسلك فيها وقال في عصا موسى فاذا هي حية تسعى وفي موضع فاذا هي ثعبان مبين
وصاحب هذا القول جعل المتشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق
المعنى كما يشتبه على حافظ القران هذا اللفظ بذاك اللفظ وقد صنف
بعضهم في هذا المتشابه لان القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضعين
فاشتبه على القارئ احد اللفظين بالاخر وهذا التشابه لا ينفي معرفة
المعاني بلا ريب فلا يقال في مثل هذا ان الراسخين يختصون بعلم تاويله
فهذا القول ان كان صحيحا كان حجة لنا وان كان ضعيفا لم يضرنا السادس
ان ما احتاج الى بيان كما نقل عن احمد والسابع ان ما احتمل وجوها كما نقل

عن

عن الشافعي واحمد وقد نقل عن ابي الدردا رضي الله عنه انه قال انك لا تفقه كل الفقه
حتى ترى للقران وجوها وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظاير فالنظاير
اللفظ الذي اتفق معناه في الموضعين واكثر والوجوه الذي اختلف معناه
كما يقال الاسما المتواطية والمشتركة وان كان بينهما فرق لبسطه موضع اخر و
قد قيل هي نظاير في اللفظ ومعانيها مختلفة فتكون كالمشتركة وليس كذلك
بل الصواب ان المراد بالوجوه والنظاير هو الاول وقد تكلم المسلمون سلفهم
وخلفهم في معاني الوجوه وفيما يحتاج الى بيان وما يحتمل وجوها فعلم يقينا ان
المسلمين متفقون على ان جميع القران مما يمكن العلما معرفة معانيه وعلم ان من قال ان
من القران كلاما لا يفهم احد معناه ولا يعرف معناه الا الله فانه مخالف لاجماع الامة مع
مخالفته الكتاب والسنة والثامن ان المتشابه هو القصص والامثال وهذا
ايضا يعرف معناه والتاسع انه ما يؤمن به ولا يعمل به وهذا ايضا مما يعرف
معناه والعاشر قول بعض المتاخرين ان المتشابه ايات الصفات واحاديث
الصفات وهذا ايضا مما يعلم معناه فان اكثر ايات الصفات اتفق المسلمون على
انه يعرف معناها والبعض الذي تنازع الناس في معناه انما ذم السلف منه تاويلات
الجهمية ونفوا علم الناس بكيفيته كقول مالك الاستوا معلوم والكيف مجهول
وكذلك قال سائر ايمة السلف وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم وبين الكيف
المجهول فان سمي الكيف تاويلا ساغ ان يقال هذا التاويل لا يعلمه الا الله كما قدمناه اولا
واما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تاويلا كما جعل معرفة سائر ايات القران
تاويلا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا يعرفون
معنى قوله الرحمن على العرش استوى ولا يعرفون معنى قوله ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي ولا معنى قوله غضب الله عليهم بل هذا عندهم بمنزلة الكلام العجمي
الذي لا يفهمه العربي وكذلك الا قيل كان عندهم قوله تعالى وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقوله
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقوله وكان الله سميعا بصيرا وقوله رضي الله
رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله
والله يحب المحسنين وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وقوله انا جعلناه قرانا عربيا وقوله فاجره حتى يسمع كلام الله وقوله فلما اتاها

Copyright © King Saud University

يوذيان يوجد كمن في النار ومن حولها وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من
الغمام والملايكة وقوله وجاء ربك والملك صفا صفا هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة
او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك ثم استوى الى السما وهي دخان انما امره اذا اراد
شيا ان يقول له كن فيكون الى امثال هذه الايات فمن قال عن جبريل او محمد صلوات
الله عليهما او عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وايمة المسلمين والجماعة انهم كانوا لا
يعرفون شيا من معاني هذه الايات بل استاثر الله بعلم معناها كما استاثر بعلم وقت
الساعة وانما كانوا يقرؤون الفاظا لا يفهمون لها معنى كما يقرا الانسان كلاما لا يفهم
منه شيا فقد كذب على القوم والنقول المتواترة عنهم تدل على نقيض هذا وانهم كانوا
يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القران وان كان كنه الرب عز وجل لا يحيط به العباد
ولا يحصون ثنا عليه فذلك لا يمنع ان يعلموا من اسمايه وصفاته ما علمهم سبحانه
وتعالى كما انهم اذا علموا انه بكل شي عليم وانه على كل شي قدير لم يلزم ان يعرفوا كيفية
علمه وقدرته فاذا عرفوا انه حق موجود لم يلزم ان يعرفوا كيفية ذاته وهذا
مما يستدل به على ان الراسخين يعلمون التاويل فان الناس متفقون على انهم
يعرفون تاويل المحكم ومعلوم انهم لا يعرفون كيفية ما اخبر الله عن نفسه في
الايات المحكمات فدل ذلك على ان عدم العلم بالكيفية لا ينفي العلم بالتاويل الذي
هو تفسير الكلام وبيان معناه بل يعلمون تاويل المحكم والمتشابه ولا يعرفون
كيفية الرب لا في هذا ولا في هذا ثم قيل هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بلغ مقابلة
بين التاويل الذي يراد به التفسير وبين التاويل الذي في كتاب الله تعالى قيل
لا يقدح في ذلك فان معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في القلب غير
معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام فان الشي له وجود في الاعيان
ووجود في الاذهان ووجود في اللسان ووجود في البنان فالكلام لفظ له معنى في
القلب ويكتب ذلك اللفظ بالخط فاذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر
عنه باللسان فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج وليس كل من عرف الاول عرف
الثاني مثال ذلك ان اهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد صلى الله
عليه وسلم وخبره ونعته وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره وتاويل ذلك هو
نفس محمد المبعوث فالمعرفة بعينه معرفة تاويل ذلك الكلام وكذلك الانسان

قد يعرف

قد يعرف الحج والمناسك كالبيت والمساجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ولا
يعرف اعيان الامكنة حتى يشاهدها فيعرف ان الكعبة المشاهدة هي المذكورة في قوله
ولله على الناس حج البيت وكذلك ارض عرفات هي المذكورة في قوله فاذا
افضتم من عرفات فاذكروا الله وكذلك المشعر الحرام هو المزدلفة التي بين
مازمي عرفة ووادي محسر يعرف انها المذكورة في قوله فاذكروا الله عند المشعر
الحرام وكذلك الرويا يراها الرجل ويذكرها للعابر تاويلها فيفهمها و
يتصورها مثل ان يقول هذا يدل على انه كان كذا ويكون كذا وكذا ثم اذا كان ذلك
فهو تاويل الرويا ليس تاويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ولهذا قال
يوسف الصديق هذا تاويل رءياي من قبل وقال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا
نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما فقد انباهما بالتاويل قبل ان ياتي التاويل وان
كان التاويل لم يقع بعد وان كان لا يعرف متى يقع فنحن نعرف تاويل ما ذكر
الله في القران من الوعد والوعيد وان كنا لا نعرف متى يقع هذا التاويل المذكور في
قوله هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله الاية وقال لكل نبا مستقر فنحن نعلم
مستقر نبا الله وهو الحقيقة التي اخبر الله بها ولا نعلم متى يكون وقد لا نعلم كيفيتها
وقدرها وسواء في هذا تاويل المحكم والمتشابه كما قال الله قل هو القادر على ان
يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
باس بعض قال النبي صلى الله عليه وسلم انها كاينة ولم يات تاويلها بعد فقد عرف تاويلها
وهو وقوع الاختلاف والفتن وان لم يعرف متى يقع وقد لا يعرف صفته ولا حقيقته
فاذا وقع عرف العارف ان هذا هو التاويل الذي دلت عليه الاية وغيره قد لا يعرف
ذلك او ينساه بعد ما كان عرفه فلا يعرف ان هذا تاويل القران فانه لما انزل قوله
تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الزبير لقد قرانا هذه الاية
زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وايضا فان الله قد ذم في كتابه من يسمع القران ولا يفقه معناه
وذم من لا يتدبره ومدح من يسمعه ويفقهه فقال تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اوليك الذين طبع
الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فاخبر انهم كانوا يقولون لاهل العلم

Copyright © King Saud University

مادام الرسول في هذا الوقت المتقدم ثم علمنا ان اهل العلم من الصحابة كانوا
يعرفون من معاني كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يعرفه غيرهم وهؤلاء هم
الراسخون في العلم الذين يعلمون معاني القرآن محكمه ومتشابهه وهذا لقوله
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فدل على ان العالمين
يعقلونها وان كان غيرهم لا يعقلها والامثال هي مما يمثل من المتشابه وعقل
معناها هو معرفة تأويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم دون غيرهم ويشبه هذا
قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك الحق ويهدي الى صراط
العزيز الحميد فلولا انهم عرفوا معنى ما انزل كيف عرفوا انه حق او باطل و
هل يحكم على كلام لم يتصور معناه انه حق او باطل وقال تعالى افلا
يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وقال افلا يتدبرون القرآن و
لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال افلم يدبروا القول
ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين وقال فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه وقال والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما
وعميانا وقال انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وقال كتاب احكمت
اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وقال كتاب فصلت اياته قرآنا عربيا لقوم
يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في
اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاذا كان
كثير من القرآن او اكثره مما لا يفهم احد معناه لم يكن المتدبر المعقول الا
بعضه وهذا خلاف ما دل عليه القرآن لا سيما عامة ما كان المشركون
ينكرونه الايات الخبرية والاخبار عن اليوم الاخر والجنة والنار وعن نفي الشركاء
والاولاد عن الله وتسميته بالرحمن فكان عامة انكارهم لما يخبرهم به من
صفات الله نفيا واثباتا وما يخبرهم به عن اليوم الاخر وقد ذم الله من
لا يعقل ذلك ولا يفقهه ولا يتدبره فعلم ان الله يامر بعقل ذلك
وتدبره وقد قال تعالى ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا
لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون و
قال

قال ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان
يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا
الا اساطير الاولين وقال واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا وقد استدل بعضهم
بان الله لم ينف عن غيره علم شيء الا كان منفردا به كقوله قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله وقوله لا يجليها لوقتها الا هو وقوله وما يعلم جنود ربك
الا هو فيقال ليس الامر كذلك بل هذا اخبار العلم المنفي فان كان
مما استأثر الله به قيل فيه ذلك وان كان مما علمه بعض عباده ذكر ذلك كقوله
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من
ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا وقوله قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واو
لو العلم قائما بالقسط وقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل
وقال للملائكة اني اعلم ما لا تعلمون وقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا و
في كثير من كلام الصحابة الله ورسوله اعلم وفي الحديث المشهور اسالك بكل
اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت
به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول و
اول النزاع النزاع في معاني القرآن فان لم يكن الرسول عالما بمعانيه امتنع
الرد اليه وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر ائمة الدين ان السنة
تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عن مجمله وانها تفسر مجمل القرآن من الامر
والخبر وقال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ومن اعظم الاختلاف
الاختلاف في المسائل العلمية الخبرية المتعلقة بالايمان بالله واليوم الاخر فلا بد ان يكون
الكتاب حاكما بين الناس فيما اختلفوا فيه من ذلك ويمتنع ان يكون حاكما ان لم يكن

Copyright © King Saud University

معرفة معناه ممكنا لما نصب الله عليه دليلا والا فالكلام الذي لا يتبين ما عني به
لا يحكم بشيء وكذلك اذا قيل هو الحاكم بالكتاب فان حكمه فصل يفصل
بين الحق والباطل وهذا انما يكون بالبيان وقد قال تعالى في القرآن انه لقول فصل
اي فاصل يفصل بين الحق والباطل فكيف يكون فصلا اذا لم يكن الى معرفة معناه
سبيل وايضا فان الله قال ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم
الا يظنون فذم هؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب الا اماني كما ذم الذين يحرفون
معناه ويكذبون فقال تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم
افلا تعقلون فهذا احد الصنفين ثم قال ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الا اماني اي تلاوة وان هم الا يظنون ثم ذم الذين يفترون كتبا يقولون الا ظنا كذبا
هي من عند الله وما هي من عند الله فقال فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم
يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل
لهم مما يكسبون وهذه الاصناف الثلاثة تستوعب اهل الضلال والبدع
فان اهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله نوعان احدهما عالم بالحق يتعمد
خلافه والثاني جاهل متبع لغيره فالاولون يبتدعون ما يخالف كتاب
الله ويقولون هو من عند الله اما احاديث مفتراة واما تفسير وتاويل للنصوص
باطل ويعضدون ذلك بما يدعونه من الراي والعقل وقصدهم بذلك الرياسة
والماكل فهؤلاء يكتبون الكتاب بايديهم ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت
ايديهم من الباطل وويل لهم مما يكسبون من المال على ذلك وهؤلاء اذا عورضوا
بنصوص الكتب الالهية وقيل لهم هذه تخالفكم حرفوا الكلم عن مواضعه بانواع التاويلات
الفاسدة قال الله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واما النوع الثاني
الجهال فهؤلاء الاميون الذين لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون
فعن ابن عباس وقتادة في قوله ومنهم اميون اي غير عارفين بمعاني الكتاب
يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه وقوله الا اماني اي تلاوة

فهم

فهم لا يعلمون فقه الكتاب انما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم قاله الكسائي و
الزجاج وكذلك قال ابن السايب لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته الا
ما اتى لهم الاماني يحدثهم به علماوهم وقال ابو روق وابو عبيدة اي تلاوة
وقراءة عن ظهر القلب ولا يقرؤونها في الكتب ففي هذا القول جعل الاماني التي هي التلاوة
تلاوة الاميين انفسهم وعلى ذاك جعله ما يسمعونه من تلاوة علمائهم وكلا القولين
حق والاية تعمهما فانه سبحانه قال لا يعلمون الكتاب لم يقل لا يقرؤون ولا يسمعون
ثم قال الا اماني وهذا استثناء منقطع لكن يعلمون اماني اما بقراءتهم لها و
اما بسماعهم قراءة غيرهم وان جعل الاستثناء متصلا كان التقدير لا يعلمون الكتاب
الا علم اماني لا علم تلاوة فقط بلا فهم والاماني جمع امنية وهي التلاوة ومنه قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ
الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم قال الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة ... واخرها لاقى حمام المقادر

والاميون نسبة الى الامة قال بعضهم الى الامة وما عليه العامة فمعنى الامي العامي
الذي لا تميز له وقد قال الزجاج هو على خلقة الامة الذي لم يتعلم الكتاب
فهو على جبلته وقال غيره هو نسبة الى الامة لان الكتابة كانت في الرجال
دون النساء ولانه على ما ولدته امه والصواب انه نسبة الى الامة
كما يقال عامي نسبة الى العامة التي لم تتميز عن عامة بما تمتاز به الخاصة وكذلك
هذا لم يتميز عن الامة بما تمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة ويقال الامي لمن لا
يقرا ولا يكتب كتابا ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله تعالى يقرؤونه وان
كان قد يكتب ويقرا ما لم ينزل وبهذا المعنى كان العرب كلهم اميين فانه لم يكن عندهم
كتاب منزل من عند الله قال الله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ء
اسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وقال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم و
قد كان في العرب كثير ممن يكتب ويقرا المكتوب وكلهم اميون فلما نزل القرآن عليهم
لم يبقوا اميين باعتبار انهم لا يقرؤون كتابا من حفظهم بل هم يقرؤون القرآن من
حفظهم واناجيلهم في صدورهم لكن بقوا اميين باعتبار انهم لا يحتاجون

Copyright © King Saud University

الكتابة دينهم بل قرآنهم محفوظ في قلوبهم كما في الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت عبادي حنفا وقال فيه اني مبتليك ومبتل
بك وانزلت عليك كتابا لا يغسله الما تقرؤه نايما ويقظانا فامتنا ليست عند
اهل الكتاب الذين لا يحفظون كتبهم في قلوبهم بل لو عدمت المصاحف كلهم كان
القران محفوظا في قلوب الامة وبهذا الاعتبار فالمسلمون امة امية بعد
نزول القران وحفظه كما في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انا امة امية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا ولم يقل لا نقرا كتابا
ولا نحفظ بل قال لا نكتب ولا نحسب فديننا لا يحتاج ان يكتب ويحسب كما عليه
اهل الكتاب من انهم يعلمون مواقيت صومهم وفطرهم بكتاب وحساب ودينهم
معلق بالكتب لو عدمت لم يعرفوا دينهم ولهذا يوجد اهل السنة يحفظون
القران والحديث اكثر من اهل البدع واهل البدع فيهم شبه باهل الكتاب من
بعض الوجوه وقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي هو امي بهذا الاعتبار انه
لا يكتب ولا يقرا ما في الكتب لا باعتبار انه لا يقرا من حفظ بل كان يحفظ القران احسن
حفظ والامي في اصطلاح الفقها خلاف القاري ليس هو خلاف الكاتب بالمعنى
الاول ويعنون به في الغالب من لا يحسن الفاتحة فقوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون
الكتاب الا اماني اي لا يعلمون الكتاب الا تلاوة لا يفهمون معناها وهذا
يتناول من لم يحسن الكتابة ولا القراءة من قبله وانما يسمع اماني علما كما قال ابن
السايب ويتناول من يقراه من ظهر قلبه ولا يقراه من الكتاب كما قال
ابو روق وابو عبيدة وقد يقال ان قوله لا يعلمون الكتاب اي الخط اي لا يحسنون
الخط وانما يحسنون التلاوة ويتناول ايضا من يحسن الخط ولا يفهم ما يقرؤه
ويكتبه كما قال ابن عباس وقتادة غير عارفين معاني الكتاب يعلمونها
حفظا وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه والكتاب هنا المراد به الكتاب
المنزل وهو التوراة ليس المراد به الخط فانه قال وان هم الا يظنون فهذا يدل على
انه نفى عنهم العلم بمعاني الكتاب والا فكون الرجل لا يكتب بيده لا يستلزم ان
يكون لا علم عنده بل يظن ظنا بل كثير ممن يكتب بيده لا يفهم ما يكتب وكثير ممن
لا يكتب يكون عالما بعلم ما يكتبه غيره وايضا فان الله ذكر هذا في سياق الذم

لهم

لهم وليس في كون الرجل لا يخط ذم اذا قام بالواجب وانما الذم على كونه لا يعقل الكتاب
الذي انزل اليه سوا كتبه وقراه او لم يكتبه ولم يقراه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا اوان يرفع العلم فقال له زياد بن لبيد كيف يرفع العلم وقد قرانا القران
فوالله لنقرانه ولنقرينه نساءنا فقال له ان كنت لاحسبك من افقه اهل المدينة او
ليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما ذا تغني عنهم وهو حديث معروف
رواه الترمذي وغيره ولانه قال تعالى قبل هذا وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم
يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فاولئك عقلوه ثم حرفوه وهم مذمومون
سوا كانوا يحفظونه بقلوبهم ويكتبونه ويقرونه حفظا وكتابة او لم يكونوا كذلك
فكان من المناسب ان يذكر الذين لا يعقلونه وهم الذين لا يعلمونه الا اماني فان
القران انزله الله كتابا متشابها مثاني ويذكر فيه الاقسام والامثال فيستوعب
الاقسام فيكون مثاني ويذكر الامثال فيكون متشابها وهولاء وان كانوا يكتبون
ويقرون فهم اميون من اهل الكتاب كما نقول نحن لمن كان كذلك هو امي وساذج
وعامي وان كان يحفظ القران ويقرا المكتوب اذا كان لا يعرف معناه واذا كان
الله قد ذم هولاء الذين لا يعرفون الكتاب الا تلاوة دون فهم معانيه كما ذم الذين
يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون دل على ان كلا من النوعين
مذموم الجاهل الذي لا يفهم معاني النصوص والكاذب الذي يحرف الكلم عن مواضعه
ويتكلم برايه وقوله بما يضيفه الى الله فهو كالذين يكتبون الكتاب بايديهم ويقولون
هو من عند الله ويجعلون تلك المقالات التي ابتدعوها هي مقالة الحق وهي التي
جاء بها الرسول والتي كان عليها السلف ونحو ذلك ثم يحرفون النصوص التي تعارضها
وهولاء اذا تعمدوا ذلك وعلموا ان الذي يفعلونه مخالف للرسول فهم من جنس هولاء
اليهود وهذا يوجد في كثير من الملاحدة ويوجد في بعض الاشياء في غيرهم واما
الذين قصدهم اتباع الرسول باطنا وظاهرا وغلطوا فيما كتبوه وتاولوه فهولاء
ليسوا من جنسهم لكن وقع بسبب غلطهم ما هو من جنس ذلك الباطل
كما قيل اذا زل العالم زل بزلته عالم وهذا حال المتاولين من هذه الامة واما
رجل معتد امي لا يعرف من الكتاب الا ما يسمعه منهم او ما يتلوه هو ولا يعرف الا اماني

وقد ذمه الله على ذلك فعلم ان ذم الله الذين لا يعرفون معاني القران ولا يتدبرونه
ولا يعقلونه كما صرح القران بذمهم في غير موضع فيمتنع مع هذا ان يقال ان اكثر
القران او كثيرا منه لا يعلمه احد من الخلق الا اماني لا جبريل ولا محمد ولا الصحابة
ولا احد من المسلمين فان هذا تشبيه لهم بهولا الذين ذمهم الله فان قيل
فلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل اية قيل نعم لكن معرفة معاني الجميع
فرض على الكفاية وعلى كل مسلم معرفة ما لا بد منه وهولا ذمهم الله لانهم لا يعلمون
معاني الكتاب الا تلاوة وليس عندهم الا الظن وهذا يشبه قوله وانهم لفي شك منه
مريب فان قيل فقد قال بعض المفسرين الاماني الا ما يقولون بافواههم
كذبا وباطلا وروي هذا عن بعض السلف واختاره الفرا وقال الاماني الاكاذيب
المفتعلة قال بعض العرب لابن داب وهو يحدث اهذا شي رويته ام
تمنيته اي افتعلته فاراد بالاماني الاشيا التي كتبها علماوهم من قبل انفسهم
ثم اضافوها الى الله من تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم الاماني
يتمنون على الله الباطل والكذب كقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة و
قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابنا الله واحباوه و
هذا ايضا روي عن بعض السلف قيل كلا القولين ضعيف والصواب
الاول لانه سبحانه قال ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وهذا الاستثنا
اما ان يكون متصلا او منقطعا فان كان متصلا لم يجز استثنا الكذب ولا
اماني القلب من الكتاب وان كان منقطعا فالاستثنا المنقطع انما يكون
فيما كان نظير المذكور وشبيها له من بعض الوجوه فهو من جنسه الذي لم يذكر
في اللفظ ليس من جنس المذكور وهذا يصلح المنقطع حيث يصلح الاستثنا
المفرغ وذلك كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى فهذا منقطع
لانه يحسن ان يقال لا يذوقون الا الموتة الاولى وكذلك كقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم لانه يحسن ان يقال لا تاكلوا
اموالكم بينكم الا ان تكون تجارة وقوله وما لهم به من علم الا اتباع الظن يصلح ان
يقال وما لهم الا اتباع الظن فهنا لما قال لا يعلمون الكتاب الا اماني

يحسن

يحسن ان يقال لا يعلمون الا اماني فانهم يعلمونه تلاوة ويقرونها ويسمعونها
ولا يحسن ان يقال لا يعلمون الا ما تمنته قلوبهم او لا يعلمون الا الكذب فانهم
قد كانوا يعلمون ما هو صدق ايضا فليس كل ما علمه علماوهم كان كذبا بخلاف
الذي لا يعقل معنى الكتاب فانه لا يعلم الا تلاوة وايضا فهذه الاماني الباطلة
التي تمنوها بقلوبهم وقالوها بالسنتهم كقوله تلك امانيهم قد اشترك فيها
كلهم لا يختص بالذم الاميون منهم وليس لكونهم اميين مدخل في الذم بهذه ولا
لنفي العلم بالكتاب مدخل في الذم بهذه مما يعلم انها باطل اعظم من ذم من لا
يعلم انها باطل وهذا لما ذمه الله بها عمم ولم يخص فقال وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وايضا
فانه قال وان هم الا يظنون فدل على انه ذمهم على نفي العلم وعلى انه ليس معهم الا الظن
وهذا حال الجاهل بمعاني الكتاب لا حال من يعلم انه يكذب فظهر ان هذا الصنف
ليس هم الذين يقولون بافواههم الكذب والباطل ولو اريد ذلك لقيل لا يقولون
الا اماني لم يقل لا يعلمون الكتاب الا اماني بل ذلك الصنف هم الذين يحرفون الكلم
عن مواضعه ويلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويكتبون الكتاب بايديهم
ليشتروا به ثمنا قليلا فهم يحرفون معاني الكتاب وهم يحرفون لفظه لمن لم يعرفه
ويكذبون في لفظه وخطه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر
ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لتاخذن امتي ما اخذ الامم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع
قالوا يا رسول الله فارس والروم قال ومن الناس الا اولئك فهذا دليل على ان ما
ذم الله به اهل الكتاب في هذه الاية يكون في هذه الامة من يشبههم فيه وهذا
حق قد شوهد قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد فمن تدبر ما اخبر الله به ورسوله راى قد وقع من
ذلك امورا كثيرة بل اكثر الامور ودل ذلك على وقوع الباقي فصل

بل الذم بهذه

فقد تبين ان الواجب طلب علم ما انزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ومعرفة
ما اراد بذلك كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن سلك سبيلهم
فكل ما يحتاج الناس اليه في دينهم فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا فكيف باصول
التوحيد والايمان ثم اذا عرف ما بينه الرسول نظر في اقوال الناس وما ارادوه بها
فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح دايما موافق للرسول لا يخالفه
قط فان الميزان مع الكتاب والله انزل الكتاب بالحق والميزان لكن قد تقصر عقول
الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به فياتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا فيه
لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمحارات العقول
لا تخبر بمحالات العقول فهذا سبيل الهدى والسنة والعلم واما سبيل الضلال و
البدعة والجهل فعكس ذلك ان يبتدع بدعة براي رجال وتاويلاتهم ثم يجعل ما
جاء به الرسول تبعا لها ويحرف الفاظه ويتاول على وفق ما اصلوه وهولاء
تجدهم في نفس الامر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ولا يتلقون منه لكن ما وافقهم الهدى صح
منه قبلوه وجعلوه حجة لا عمدة وما خالفهم تاولوه كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه
او فوضوه كالذين لا يعلمون الكتاب الا اماني وهولاء اذا لم يعرفوا ما جاء به
الرسول اما عجزا واما تفريطا فانه يحتاج الى مقدمتين ان الرسول قال كذا وانه
اراد به كذا اما الاول فعامتهم لا يرتابون في انه جاء بالقران وان كان من غلاة
اهل البدع من يرتاب في بعضه لكن الاحاديث عامة اهل البدع جهال بها وهم
يظنون ان هذه رواها احاد يجوز عليهم الكذب والخطا ولا يعرفون من
كثرة طرقها وصفات رجالها والاسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه اهل
العلم بالحديث فان هولاء يقطعون قطعا يقينا بعامة المتون الصحيحة التي
في الصحيحين كما قد بسطناه في غير هذا الموضع واما المقدمة
الثانية فانهم قد لا يعرفون معاني القران والحديث ومنهم من يقول الادلة
اللفظية لا تفيد اليقين بمراد المتكلم وقد بسطنا الكلام على فساد ذلك في غير هذا
الموضع وكثير منهم انما ينظر في تفسير القران والحديث فيما يقوله موافقوه
على المذهب فيتاولون تاويلاتهم فالنصوص التي توافقهم يحتجون بها والتي
تخالفهم يتاولونها وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس الامر اتباع نص اصلا وهذا

في البدع

غيره كان مفتقرا اليه وهو سبحانه صمد والصمد الغني عما سواه فالمركب لا يكون صمدا
فيقال اما القول بانه سبحانه مركب مولف من اجزاء وانه يقبل التجزية والانقسام
والانفصال فهذا باطل شرعا وعقلا فان هذا ينافي كونه صمدا كما تقدم وسواء
اريد بذلك انه كانت الاجزاء متفرقة ثم اجتمعت وقيل انها لم تزل مجتمعة لكن يمكن
انفصال بعضها عن بعض كما في بدن الانسان وغيره من الاجسام فالانسان وان كان
لم يزل مجتمع الاعضا لكن يمكن ان يفرق بين بعضه وبعض والله منزه عز وجل عن ذلك
ولهذا قدمنا ان كمال الصمدية له فان هذا انما يجوز على ما يجوز ان يفنى بعضه او
يعدم وما قبل العدم لم يكن واجب الوجود بذاته ولا قديما ازليا فاما وجب قدمه امتنع
عدمه وكذلك صفاته التي لم يزل موصوفا بها هي من لوازم ذاته فيمتنع ان يعدم
اللازم الا مع عدم الملزوم ولهذا قال من قال من السلف الصمد هو الدايم وهو
الباقي بعد فنا خلقه فان هذا من لوازم الصمدية اذ لو قبل العدم لم تكن صمديته
لازمة له بل جاز عدم صمديته فلا يبقى صمدا ولا تنتفي عنه الصمدية الا بجواز العدم
عليه وذلك محال فلا يكون مستوجبا للصمدية الا اذا كانت لازمة له وذلك ينافي
عدمه وهو مستوجب للصمدية لم يصر صمدا بعد ان لم يكن تعالى وتقدس فان ذلك
يقتضي انه كان متفرقا فجمع وانه مفعول محدث مصنوع وهذه صفة مخلوق فانه ق
اما الخالق القديم الذي يمتنع عليه ان يكون معدوما او مفعولا او محتاجا الى غيره بوجه
من الوجوه فلا يجوز عليه شي من ذلك فعلم انه لم يزل صمدا ولا يزال صمدا فلا يجوز ان يقال
كان متفرقا فاجتمع ولا انه يجوز ان يتفرق بل ولا ان يخرج منه شي ولا يدخل فيه شي
وهذا اما هو متفق عليه بين طوايف المسلمين سنيهم وبدعيهم وان كان احد من الجهال
او من لا يعرف قد يقول خلاف ذلك ومثل هولاء لا تنضبط خيالاتهم الفاسدة كما انه
ليس في طوايف المسلمين من يقول انه مولود ووالد وان كان هذا قد قاله بعض الكفار
وقد قال بعض المتفلسفة المنتسبين الى الاسلام من التولد والتعليل ما هو
شر من قول المولد واما اثبات الصفات له وانه يرى في الاخرة وانه يتكلم بالقران
وغيره وكلامه غير مخلوق فهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان وايمة المسلمين
واهل السنة والجماعة من جميع الطوايف والخلاف في ذلك مشهور مع الجهمية والمعتزلة

Copyright © King Saud University

وكثير من الفلاسفة والباطنية وهؤلاء يقولون ان اثبات الصفات يوجب ان يكون
جسما وليس بجسم فلا تثبت له الصفات قالوا لان المعقول من الصفات اعراض قائمة
بجسم لا تعقل صفة الا كذلك قالوا والرؤية لا تعقل الا مع المعاينة والمعاينة لا تكون الا
اذا كان المرئي بجهة ولا يكون بجهة الا ان كان جسما قالوا ولانه لو قام به كلام او غيره للزم
ان يكون جسما فلا يكون الكلام المضاف اليه الا مخلوقا منفصلا عنه وهذه المعاني مما
ناظروا بها الامام احمد في المحنة وكان ممن احتج على ان القران مخلوق بنفي التجسيم ابو عيسى
محمد بن عيسى برغوث تلميذ حسين النجار وهو من اكابر المتكلمين فان ابن ابي دواد
كان قد جمع للامام احمد من امكنه من متكلمي البصرة وبغداد وغيرهم ممن يقول ان القران
مخلوق وهذا القول لم يكن مختصا بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس فان كثيرا من
اولئك المتكلمين او اكثرهم لم يكونوا معتزلة وبشر المريسي لم يكن من المعتزلة بل فيهم نجارية
ومنهم برغوث وفيهم ضرارية وحفص الفرد الذي ناظر الشافعي كان من الضرارية اتباع
ضرار بن عمرو وفيهم مرجئة ومنهم بشر المريسي ومنهم جهمية محضة ومنهم معتزلة و
ابن ابي دواد لم يكن معتزليا بل كان جهميا ينفي الصفات والمعتزلة تنفي الصفات فنفاة
الصفات الجهمية اعم من المعتزلة فلما احتج احتج عليه برغوث بانه لو كان يتكلم ويقوم به
الكلام لكان جسما وهذا منفي عنه واحمد وامثاله من السلف كانوا يعلمون ان هذه
الالفاظ التي ابتدعها المتكلمون كلفظ الجسم وغيره ينفيها قوم ليتوصلوا بنفيها الى
نفي ما اثبته الله تعالى ورسوله ويثبتها قوم ليتوصلوا باثباتها الى اثبات ما نفاه الله
ورسوله فالاول طريقة الجهمية من المعتزلة وغيرهم ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون ان قصدهم
التنزيه ومقصودهم بذلك ان الله لا يرى في الاخرة وانه لم يتكلم بالقران ولا غيره بل
خلق كلاما في غيره وانه ليس له علم يقوم به ولا قدرة ولا حياة ولا غير ذلك من الصفات
قال الامام احمد رحمه الله في خطبته في الرد على الجهمية والزنادقة الحمد لله
الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من اهل العلم يدعون من ضل الى الهدى
ويصبرون منهم على الاذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله اهل

العمى

العمى فكم من قتيل لابليس قد احيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما احسن اثرهم على
الناس واقبح اثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الضالين وانتحال المبطلين
وتاويل الجاهلين الذين عقدوا الوية البدعة واطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في
الكتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون
بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن
الضالين والثانية طريقة هشام واتباعه يحكى عنهم انهم اثبتوا ما قد نزه
الله نفسه عنه من اتصافه بالنقائص ومماثلته للمخلوقات فاجابهم الامام احمد بطريقة
الانبياء واتباعهم وهو الاعتصام بكتاب الله الذي قال فيه يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا و
قال كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم
الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه الاية
وقال تعالى المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم الاية وقال تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى الى قوله وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الاية
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الى قوله ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون وقال تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به الى قوله ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وقوله تعالى فاقم
وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون الى قوله كل حزب بما لديهم فرحون وقوله شرع لكم من الدين ما
وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين فهذه النصوص وغيرها تبين ان الله ارسل

ظ الغالين

مخالفون للكتاب

الرسل وانزل الكتب لبيان الحق من الباطل وبيان ما اختلف فيه الناس وان الواجب على الناس
اتباع ما انزل اليهم من ربهم ورد ما تنازعوا فيه الى الكتاب والسنة وان من لم يتبع ذلك
كان منافقا وان من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن
ذلك حشر ضالا شقيا معذبا وان الذين فارقوا ائمتهم قد برى الله ورسوله منهم فاتبع
الامام احمد طريقة سلفه من ائمة السنة وجماعة المعتصمين بالكتاب والسنة المتبعين
ما انزل اليهم من ربهم وذلك ان ننظر فما وجدنا الرب قد اثبته لنفسه في كتابه اثبتناه
وما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفيناه وكل لفظ وجد في الكتاب والسنة بالاثبات
اثبت ذلك اللفظ وكل لفظ وجد منفيا نفي ذلك اللفظ واما الالفاظ التي لا توجد
في الكتاب والسنة بل ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر ائمة المسلمين
لا اثباتها ولا نفيها وقد تنازع فيها الناس فهذه الالفاظ لا تثبت ولا تنفى الا بعد
الاستفسار عن معانيها فان وجدت معانيها مما اثبته الرب لنفسه اثبتت وان
وجدت مما نفاه الرب عن نفسه نفيت وان وجدنا اللفظ اثبت به حق وباطل او نفي
به حق وباطل او كان مجملا يراد به حق وباطل وصاحبها اراد به بعضها لكنه عند
الاطلاق يوهم الناس او يفهمهم ما اراد وغير ما اراد فهذه الالفاظ لا يطلق لا
اثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الالفاظ التي تدخل
في هذا المعنى فقل من تكلم بها نفيا او اثباتا الا وادخل فيها باطلا وان اراد بها حقا
والسلف والائمة كرهوا هذا الكلام المحدث لاشتماله على باطل وكذب وقول
على الله بلا علم وكذلك ذكر احمد في رده على الجهمية انهم يفترون على الله فيما ينفونه
عنه ويقولون عليه بغير علم وكل ذلك مما حرمه الله ورسوله لم يكره السلف هذه لمجرد
كونها اصطلاحية ولا كرهوا الاستدلال بدليل صحيح جاء به الرسول بل كرهوا الاقوال
الباطلة المخالفة للكتاب والسنة ولا يخالف الكتاب والسنة الا ما هو باطل لا يصح
بعقل ولا سمع ولهذا لما سئل ابو العباس بن سريج عن التوحيد فذكر
توحيد المسلمين وقال واما توحيد اهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والاعراض و
انما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بانكار ذلك ولم يرد بذلك ان ذكر هذين اللفظين ومعناهما
لم يكونا قد احدثا في زمنه وانما اراد بذلك ان يعني بهما من المعاني الباطلة فان اول من احدثها
الجهمية والمعتزلة وقصدهم بذلك انكار صفات الله تعالى او ان يرى او ان يكون له كلام

لعله لا انهما لم يكونا

يتصف به

يتصف به وانكرت الجهمية اسماءه ايضا واول من عرف عنه انكار ذلك الجعد بن درهم
فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط وقال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني
مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله
عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وكلام السلف والائمة في ذم هذا الكلام واهله
مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان ائمة السنة كاحمد بن حنبل وغيره كانوا
اذا ذكرت لهم اهل البدع الالفاظ المجملة كلفظ الجسم والجوهر والحيز ونحوها لم يوافقوهم
على اطلاق الاثبات ولا على اطلاق النفي واهل البدع بالعكس ابتدعوا الفاظا ومعاني
اما في النفي واما في الاثبات وجعلوها هي الاصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده و
البناء عليه ثم نظروا في الكتاب والسنة فما امكنهم ان يتاولوه على قولهم تاولوه والا قالوا
هذا من الالفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما اريد بها فجعلوا بدعهم اصلا محكما
وما جاء به الرسول فرعا له ومشكلا اذا لم يوافقه وهذا اصل الجهمية والقدرية و
امثالهم واصل الملاحدة من الفلاسفة الباطنية جميعهم لكنهم توجد على هذا
الطريق ومعرفة الفرق بين هذا وهذا من اعظم ما يعلم به الفرق بين الصراط المستقيم
الذي بعث الله به رسوله وبين السبيل المخالفة له وكذلك الحكم في المسائل العلمية
الفقهية ومسائل اعمال القلوب وحقائقها وغير ذلك كل هذه الامور قد دخل فيها
الفاظ ومعان محدثة والفاظ ومعان مشتركة فالواجب ان يجعل ما انزل الله من الكتاب
والحكمة اصلا في جميع هذه الامور ثم يرد ما تكلم فيه الناس الى ذلك ويبين ما في الالفاظ
المجملة من المعاني الموافقة للكتاب والسنة فتقبل وما فيها من المعاني المخالفة للكتاب
والسنة فترد ولهذا كل طائفة انكر عليها ما ابتدعت احتج بما ابتدعه الاخرى
كما يوجد في الفاظ اهل الراي والكلام والتصوف وانما يجوز ان يقال في بعض الايات انه
مشكل ومتشابه اذا ظن انه يخالف غيره من الايات المحكمة البينة فاذا جاءت نصوص
بينة محكمة بامر وجاء نص اخر يظن ان ظاهره يخالف ذلك يقال في هذا انه يرد المتشابه
الى المحكم اما اذا نطق الكتاب او السنة بمعنى واحد لم يجز ان يجعل ما يضاد ذلك المعنى هو
الاصل ويجعل ما في القران والسنة مشكلا متشابها فلا يقبل ما دل عليه نعم قد يشكل

Copyright King Saud University

على كثير من الناس نصوصًا لا يفهمونها فتكون مشكلة بالنسبة اليهم لعجز فهمهم عن معانيها ولا
يجوز ان يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل والحس الا وفي القرآن بيان معناه فان القرآن جعله
الله شفاء لما في الصدور وبيانا للناس فلا يجوز ان يكون بخلاف ذلك لكن قد تخفى آثار الرسالة
في بعض الامكنة والازمنة حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم اما لا يعرفون اللفظ
واما ان يعرفون اللفظ ولا يعرفون معناه فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور
النبوة ومن هاهنا يقع الشرك وتفريق الدين شيعا كالفتن التي حدثت بالسيف
فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم كما قال
مالك بن انس اذا قل العلم ظهر الجفا واذا قلت الآثار ظهرت الاهوا ولهذا شبهت
الفتن بقطع الليل المظلم ولهذا قال احمد في خطبته الحمد لله الذي جعل في كل زمان
فترة بقايا من اهل العلم فالهدى الكامل لاهل الارض انما هو من نور النبوة كما قال تعالى
فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى فاهل الهدى والفلاح هم المتبعون
للانبيا وهم المسلمون المؤمنون في كل زمان ومكان واهل العذاب والضلال المكذبون
للانبيا فيبتغي اهل الجاهلية الذين لم يصل اليهم ما جاءت به الانبيا فهم اذن في ضلال وجهل لعله مبتغي
وشرك وشر لكن الله يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى رسلا مبشرين و
منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى
يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون فهؤلاء
لا يهلكهم الله ويعذبهم حتى يرسل اليهم رسولا وقد روت آثار متعددة في ان من
لم تبلغه الرسالة في الدنيا فانه يبعث اليه رسول يوم القيامة في عرصات القيامة وقد زعم بعضهم
ان هذا يخالف دين المسلمين فان الآخرة لا تكليف فيها وليس كما قال انما ينقطع التكليف
اذا دخلوا دار الجزاء الجنة والنار والا فهم في قبورهم يمتحنون ويفتنون بان يقال لاحدهم من
ربك وما دينك ومن نبيك وكذلك في عرصات القيامة يقال ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون
فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت
وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير الصورة التي رأوه فيها اول
مرة ويقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا وفي رواية فيسالهم
ويثبتهم وذلك امتحان لهم هل يتبعون غير الرب الذي عرفوا ان الله الذي تجلى لهم اول مرة صح
فيثبتهم

فيثبتهم الله تعالى عند هذه المحنة كما يثبتهم في فتنة القبر فاذا لم يتبعوه لكونه اتى في غير
الصورة التي يعرفون اتاهم حينئذ في الصورة التي يعرفون فيكشف عن ساق فاذا
راوه خروا له سجدا الا من كان منافقا فانه يريد السجود فلا يستطيع يبقى ظهره مثل
الطبق وهذا المعنى مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة احاديث ثابتة
من حديث ابي هريرة وابي سعيد وقد اخرجاها في الصحيحين ومن حديث جابر وقد
رواه مسلم ومن حديث ابن مسعود وابي موسى وهو معروف من رواية احمد وغيره
فدل ذلك على ان المحنة انما تنقطع اذا دخلوا دار الجزاء وما قبل دار الجزاء دار امتحان و
ابتلاء فاذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة البدع وحدثت البدع و
الفجور ووقع الشر بينهم كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي ثلاثا
فاعطاني اثنتين ومنعني الثالثة سالته ان لا يهلك امتي بسنة عامة فاعطانيها
وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها وسالته ان لا
يجعل باسهم بينهم فمنعنيها والباس مشتق من البوس قال تعالى قل هو القادر
على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم باس بعض وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزل قوله تعالى
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك او من
تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض
قال هاتان اهون فدل على انه لا بد ان يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم باس بعض مع
براءة الرسول في هذه الحال وهم فيها في جاهلية ولهذا قال الزهري وقعت
الفتنة واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فاجمعوا على ان كل دم او
مال او فرج اصيب بتاويل القرآن فهو هدر انزلوهم منزلة الجاهلية وقال
مالك باسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول ترك الناس
العمل بهذه الاية يعني قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما
فان المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الاصلاح بينهم كما امر الله تعالى فلما لم يعمل بذلك
صارت فتنة وجاهلية وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الامة في الاصول

Copyright © King Saud University

والفروع اذا لم ترد الى الله والرسول لم يتبين فيها الحق بل يصير فيها المتنازعون على غير
بينة من امرهم فان رحمهم الله اقر بعضهم بعضا ولم يبغ بعضهم على بعض كما كان الصحابة
في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسايل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضا ولا يعتدى
عليه وان لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم فبغى بعضهم على بعض اما بالقول مثل
تكفيره وتفسيقه واما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله وهذه حال اهل البدع والظلم
كالخوارج وامثالهم يظلمون الامه ويعتدون عليهم اذا نازعوهم في بعض مسايل الدين
وكذلك ساير اهل الاهوا فانهم يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها كما يفعل الرافضة
والمعتزلة والجهمية وغيرهم والذين امتحنوا الناس بخلق القران كانوا من هولاء ابتدعوا
بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع حقه وعقوبته فالناس اذا خفي عليهم
بعض ما بعث الله به الرسول اما عادلون واما ظالمون فالعادل فيهم الذي يعمل بما
وصل اليه من اثار الانبيا ولا يظلم غيره والظالم الذي يعتدي على غيره وهولاء يظلمون
مع علمهم بانهم يظلمون كما قال تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءهم العلم بغيا بينهم والا فلو سلكوا ما علموه من العدل اقر بعضهم بعضا كالمقلدين
لايمة الفقه الذين يعرفون من انفسهم انهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في
تلك المسايل فجعلوا ايمتهم نوابا عن الرسول وقالوا هذا غاية ما قدرنا عليه فالعادل
منهم لا يظلم الاخر ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل مثل ان يدعي ان قول متبوعه هو
الصحيح بلا حجة يبديها ويذم من يخالفه مع انه معذور وكان الذين امتحنوا احمد
وغيره من هولاء الجاهلين فابتدعوا كلاما متشابها نفوا به الحق فاجابهم احمد
لما ناظروه في المحنة وذكروا الجسم فاجابهم باني اقول كما قال الله تعالى الله احد الله
الصمد واما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على احد ان يتكلم به البتة والمعنى
الذي يراد به مجمل ولم تبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح فقال ما ادري ما تقولون
لكن اقول الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد يعني ما ادري ما تعنون

بلفظ

بلفظ الجسم فانا لا نوافقكم على اثبات لفظه ونفيه اذ لم يرد الكتاب والسنة باثباته
ولا نفيه ان لم ندر معناه المتكلم فان عنى في النفي او الاثبات ما يوافق الكتاب والسنة
وافقناه وان عنى ما يخالف الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافقه ولفظ الجسم
والجوهر ونحوهما لم يات في الكتاب والسنة ولا كلام احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان
الى يوم الدين ولا ايمة المسلمين التكلم بها في حق الله تعالى لا بنفي ولا اثبات ولهذا
قال احمد في رسالته الى المتوكل لا احب الكلام في شي من ذلك الا ما كان في كتاب الله او في
حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة والتابعين واما غير ذلك فان الكلام
فيه غير محمود وذكر ايضا فيما حكاه عن الجهمية انهم يقولون ليس فيه كذا ولا كذا وهو
كما قال فان لفظ الجسم في اللغة التي نزل بها القران معنى كما قال تعالى واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم وقال تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم قال ابن
عباس كان طالوت اعلم بني اسرائيل بالحرب وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه وراسه
والبسطة السعة قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت الشي اذا كان مجموعا ففتحته و
وسعته قال بعضهم والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة اذ العادة ان من كان اعظم
جسما كان اكثر قوة فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القران قال الجوهري
قال ابو زيد الانصاري الجسم الجسد وكذلك الجسمان والجثمان وقال الاصمعي الجسم
والجسمان والجسد والجثمان قال وجماعة جسم الانسان يقال لها الجسمان وقد جسم الشي
اي عظم فهو جسيم وجسام والجسام بالضم بالكسر جمع جسيم قال ابو عبيدة
تجسمت فلانا من بين القوم اي اخترته كانك قصدت جسمه كما تقول تاييته اي
قصدت ايته وشخصه وانشد ابو عبيدة تجسمه من بينهن بمرهف
وتجسمت الارض اذا اخذت نحوها تريدها وتجسم من الجسم وقال ابن السكيت
تجسمت الامر اي ركبت اجسمه وجسيمه اي معظمه قال وكذلك تجسمت الرمل والجبل اي
ركبت اعظمه والاجسم الاضخم قال عامر بن الطفيل لقد علم الحي من عامر بان لنا
الذروة الاجسما فهذا الجسم في لغة العرب وعلى هذا فلا يقال للهوا جسم ولا للنفس
الخارج من الانسان جسم ولا الروح المنفوخ جسم ومعلوم ان الله سبحانه
لا يماثل شيا من ذلك لا بدن الانسان ولا غيره فلا يوصف الله بشي من خصايص

معنى الجسد

المخلوقين ولا يطلق عليه من الاسما ما يختص بصفات المخلوقين فلا يجوز ان يقال هو
جسم ولا جسد واما اهل الكلام فالجسم عندهم اعم من هذا وهم يختلفون في معناه
اختلافا كثيرا عقليا واختلافا لفظيا اصطلاحيا فهم يقولون كل ما يشار اليه اشارة حسية
فهو جسم ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم كل ما كان كذلك فهو مركب من الجواهر
المفردة ثم منهم من قال الجسم اقل ما يكون جوهر بشرط ان ينضم اليه غيره وقيل بل هو
الجوهران والجواهر فصاعدا وقيل بل اربعة فصاعدا وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية وقيل
بل ستة عشر وقيل بل اثنان وثلاثون وهذا قول من يقول ان الاجسام كلها مركبة من
الجواهر التي لا تنقسم وقال اخرون من اهل الفلسفة بل الاجسام مركبة من
الهيولى والصورة لا من الجواهر المفردة وقال كثير من اهل الكلام وغير اهل الكلام
ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا وهذا قول الهشامية والكلابية والضرارية وغيرهم من
الطوائف الكبار لا يقولون بالجوهر الفرد ولا بالمادة والصورة واخرون يدعون اجماع
المسلمين على اثبات الجوهر الفرد كما قال ابو المعالي وغيره اتفق المسلمون على ان الاجسام
تتناهى في تجزيها وانقسامها حتى تصير افرادا ومع هذا فقد شكك هو فيه وكذلك
شك فيه ابو الحسين البصري وابو عبد الله الرازي ومعلوم ان هذا القول لعله شكك
لم يقله احد من ائمة المسلمين لا من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا احد من ائمة
العلم المشهورين بين المسلمين واول من قال ذلك في الاسلام طائفة من الجهمية والمعتزلة
وهذا من الكلام الذي ذم السلف وعابوه ولكن حاكي هذا الاجماع لما لم يعرف اصول
الدين الا ما في كتب الكلام ولم يجد الا من يقول بذلك اعتقد هذا اجماع المسلمين والقول
بالجوهر الفرد باطل والقول بالهيولى والصورة باطل وقد بسط الكلام على هذه
المقالات في موضع اخر وقال اخرون الجسم هو القائم بنفسه وكل قائم بنفسه بلغ
جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار اليه واختلفوا في الاجسام هل هي
متماثلة ام لا على قولين مشهورين واذا عرف ذلك فمن قال ان الله جسم واراد انه مركب من
الاجزاء فهذا قوله باطل وكذلك ان اراد انه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع
والعقل ان الله ليس كمثله شي في شي من صفاته فمن اثبت لله مثلا في شي من صفاته فهو
مبطل ومن قال انه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ومن قال ليس بجسم بمعنى انه لا يرى في الاخرة و
لا يتكلم بالقران وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا
ترفع الايدي اليه في الدعا ولا عرج بالرسول اليه ولا يصعد اليه الكلم الطيب ولا تعرج
الملايكم

الملائكة والروح اليه فهذا قوله باطل وكذلك كل من نفى ما اثبته الله ورسوله وقال
ان هذا تجسيم فنفيه باطل وتسميته ذلك تجسيما تلبيس منه فان اراد ان هذا يقتضي ان يكون
جسما مركبا من الجواهر المفردة او من المادة والصورة او ان هذا يقتضي ان يكون جسما
والاجسام متماثلة قيل له اكثر العقلا يخالفونك في تماثل الاجسام المخلوقة وفي انها
مركبة فلا يقولون ان الهوا مثل الما ولا ابدان الحيوان مثل الحديد والجبال فكيف يوافقونك
على ان الرب تعالى يكون مماثلا لخلقه اذا اثبتوا له ما اثبته الكتاب والسنة والله تعالى قد نفى
المماثلات في بعض المخلوقات وكلاهما جسم كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا
يكونوا امثالكم مع ان كلاهما بشر فكيف يجوز ان يقال اذا كان للرب السموات علم وقدرة
ان يكون مماثلا لخلقه والله تعالى ليس كمثله شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ولكنه
الاعمى [?] ان الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الاجسام ويستلزم ان يكون
مركبا من الجواهر المفردة او من المادة والصورة واكثر العقلا يخالفونه في التلازم وهذا ط
التلازم منتف باتفاق الفريقين وهو المطلوب فاذا اتفقوا على انتفا النقص المنتفي عن منتف
الله شرعا وعقلا بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحي هل هو مستلزم لهذا المحذور
وهو بحث عقلي كبحث الناس في الاعراض هل تبقى او لا تبقى وهذا البحث العقلي لم يرتبط به
دين المسلمين بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا اثر عن السلف بلفظ الجسم في حق الله لا نفيا و
لا اثباتا فليس لاحد ان يبتدع اسما مجملا يحتمل معاني مختلفة لم ينطق به الشرع ويعلق
به دين المسلمين ولو كان قد نطق باللغة العربية فكيف اذا احدث للفظ معنى اخر
والمعنى الذي يقصده اذا كان حقا عبر عنه بالعبارة التي لا لبس فيها فاذا كان معتقده
ان الاجسام متماثلة فان الله ليس كمثله شي وهو سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له فهذه
عبارات القران تؤدي هذا المعنى بلا تلبيس ولا نزاع وان كان معتقده ان الاجسام
غير متماثلة وان كل ما يرى ويقوم به من الصفات فهو جسم فان عليه ان يثبت ما اثبته الله
ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته كقوله ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا وقوله
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله في حديث الاستخارة اللهم اني استخيرك بعلمك
واستقدرك بقدرتك وقوله في الحديث الاخر اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق
ويقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون الشمس والقمر عيانا

لا تضامون في رؤيته فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئي كالمرئي فهذه عبارات
الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تلبيس ولا نزاع بين اهل السنة
المتبعين للكتاب والسنة واقوال الصحابة ثم بعد هذا من كان تبين له المعنى من جهة
العقل انه لازم للحق لم يدفع عن عقله فلازم الحق حق لكن ذلك المعنى لابد ان يدل
الشرع عليه فيثبته بالالفاظ الشرعية وان قدر ان الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب
على الناس اعتقاده وحينئذ فليس لاحد ان يدعو الناس اليه وان قدر انه في نفسه
حق ومسألة تماثل الاجسام وتركبها من الجواهر المنفردة قد اضطرب فيها
جماهير اهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة واكثر ذلك لاجل الالفاظ
المجملة والمعاني المتشابهة وقد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع لكن المقصود
هنا انه لو قدر ان الانسان تبين له ان الاجسام ليست متماثلة ولا مركبة لا من هذا ولا
من هذا لم يكن له ان يبتدع في دين الاسلام قوله ان الله جسم ويناظر على المعنى الصحيح الذي
دل عليه الكتاب والسنة بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبارات الشرعية ولو قدر انه
تبين له ان الاجسام متماثلة وان الجسم مركب لم يكن له ان يبتدع النفي بهذا الاسم ويناظر
على معناه الذي اعتقده بعقله بل ذلك المعنى المعلوم بالشرع والعقل يمكن اظهاره
بعبارة لا اجمال فيها ولا تلبيس والذين يقولون الجسم مركب من الجواهر يدعي كثير
منهم انه كذلك في لغة العرب لان العرب يقولون هذا اجسم من هذا يريدون به انه اكثر
اجزاء منه ويقولون هذا جسيم اي كثير الاجزاء قال والتفضيل بصيغ افعل
انما يكون فيما يدل عليه الاسم فاذا قيل هذا اعلم واحلم كان ذلك دالا على التفضيل فيما دل
عليه لفظ العلم والحلم فلما قالوا اجسم لما كان اكثر اجزاء دل على ان لفظ الجسم عندهم المراد
به المركب فما كان جسما وليس بمركب فقد خرج من لغة العرب قالوا وهذه تخطئة في
اللفظ وان كنا لا ننكره اذا اثبت خصائص الجسم من التركيب والتاليف وقد نا
زعهم بعضهم في قولهم هذا اجسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما
يحكى عن ابي زيد فقال ـــــ له لا ريب ان العرب تقول هذا جسيم اي
عظيم الجثة وهذا اجسم من هذا اي اعظم جثة لكن كون العرب تعتقد ان ذلك لكثرة
الاجزاء التي هي الجواهر المفردة انما يكون اذا كان اهل اللغة قاطبة يعتقدون ان الجسم مركب
من الجواهر المنفردة والجوهر الفرد هو شيء قد بلغ من الصغر والحقارة الى انه لا يتميز

يمينه

قوله الجوهر الفرد ... لعله سقط ... الكلام ... الاسم

يمينه من يساره ومعلوم ان اكثر العقلاء من بني ادم لا يتصورون الجوهر الفرد والذين
يتصورونه اكثرهم لا يثبتونه والذين يثبتونه انما يثبتونه بطرق خفية طويلة بعيدة فيمتنع
ان يكون اللفظ الشائع في اللغة الذي ينطق به خواصها وعوامها ارادوا به هذا وقد
علم بالاضطرار ان احدا من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينطقوا باثبات الجوهر الفرد
ولا بما يدل على ثبوته عندهم بل ولا العرب قبلهم ولا سائر الامم الباقين على الفطرة ولا اتباع
الرسل فكيف يدعى عليهم انهم لم يقولوا لفظ جسم الا لما كان مركبا منه بل لو قلت لمن
شئت من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من اجزاء صغار كل منها لا يتميز
البحر او الجبال او الهواء او الحيوان والنبات لم يتصور هذا المعنى الا بعد كلفة ثم اذا
تصوره فقد يكذب به بفطرته ويقول كيف يمكن ان يكون شيء لا يتميز منه جانب عن جانب
واكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد فالفقهاء قاطبة تنكره
وكذلك اهل الحديث والتصوف ولهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض
الاجسام الى بعض كاستحالة العذرة رمادا والخنزير ملحا ثم تكلموا في هذه الاستحالة هل
تطهر ام لا تطهر والقائلون بالجوهر الفرد لا تستحيل الذوات عندهم بل تلك الجواهر
التي كانت في الاول هي بعينها في الثاني وانما اختلف التركيب ولهذا يتكلم بلفظ
التركيب في الماء ونحوه من الفقهاء المتاخرين من كان قد اخذ هذا التركيب عن المتكلمين
ويقولون ان الماء لا يفارق غيره في اللطف والتركيب وكذلك القائلون بالجوهر الفرد عندهم انا
لم نشاهد قط احداث الله لشيء من الاعيان القائمة بنفسها وان جميع ما يخلقه من الحيوان
والنبات والمعدن والثمار والمطر والسحاب وغير ذلك انما هو جمع الجواهر وتفريقها و
تغيير صفاتها من حال الى حال لا انه يبدع شيئا من الجواهر والاجسام القائمة بانفسها و
هذا القول اكثر العقلاء ينكره ويقولون هو مخالف للحس والعقل والشرع فضلا عن ان
يكون الجسم في لغة العرب مستلزما لهذا المعنى ثم الجسم قد يراد به الغلظ نفسه وهو
عرض قائم بغيره وقد يراد به الشيء الغليظ وهو القائم بنفسه فتقول هذا
الثوب له جسم اي غلظ وقوله وزاده بسطة في العلم والجسم قد يحتج به على هذا فانه قرن الجسم
بالعلم الذي هو مصدر فيقول المعنى زاده بسطة في قدره فجعل قدر بدنه اكبر من بدن
غيره فيكون الجسم هو القدر نفسه لا نفس المقدر وكذلك قوله تعجبك اجسامهم اي صورهم

القائمة بالابدان كما تقول اعجبني حسنه وجماله ولونه وبهاؤه فقد يراد صفة الابدان وقد
يراد نفس الابدان وهم اذا قالوا هذا اجسم من هذا ارادوا به اغلظ واعظم منه اما كونهم
يريدون بذلك ان ذكر العظم والغلظ كان لزيادة الاجزا فهذا مما يعلم قطعا انه لم يخطر
ببال اهل اللغة الا من اخذ ذلك عمن اعتقده من اهل الكلام المحدث الذي احدث في الاسلام
بعد انقراض عصر الصحابة واكابر التابعين فان هذا لم يعرف في الاسلام من تكلم به او
بمعناه الا في اواخر الدولة الاموية لما ظهر الجهم بن صفوان والجعد بن درهم ثم ظهر في المعتزلة
فقد تبين ان من قال الجسم هو المولف والمركب واعتقد ان الاجسام مركبة من الجواهر
المنفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه اكثر العقلا من بني ادم ولم ينقل عن احد
من السلف انه وافقه عليه وان جعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه
اللفظ في اللغة فقد غير معنى اللفظ في اللغة وادعى معنى عقليا فيه نزاع طويل وليس معه
من الشرع ما يوافق ما ادعاه من معنى اللفظ ولا ما ادعاه من المعنى العقلي فاللغة
لا تدل على ما قال والشرع لا يدل على ما قال والعقل لم يدل على مسميات الالفاظ وانما
يدل على المعنى المجرد وذلك فيه نزاع طويل ونحن نعلم بالاضطرار ان ذلك المعنى
الذي وجب نفيه عن الله لا يحتاج نفيه الى ما احدثه هذا من دلالة اللفظ ولا ما ادعاه
من المعنى العقلي بل الذين جعلوا هذا عمدتهم في تنزيه الرب على نفي مسمى الجسم لا يمكنهم
ان ينزهوه عن شي من النقائص البتة فانهم اذا قالوا هذا من صفات الاجسام
فكل ما يثبتونه هو ايضا من صفات الاجسام مثل كونه حيا عليما قديرا بل كونه موجودا
قائما بنفسه فانهم لا يعرفون هذا الا في الاجسام فاذا قال المنازع انا
اقول فيما نفيتموه نظير قولكم فيما اثبتموه ثم هولاء هم في استحقاق الرب لصفات
الكمال عندهم هل علم بالاجماع فقط او علم بالعقل ايضا فيه قولان لهم قال ان ذلك انقطعوا
لم يعلم بالعقل كابي المعالي والرازي وغيرهما لم يبق معهم دليل عقلي ينزهون به
الرب عن كثير من النقائص هذا اذا لم يجعل نفس الا ما يجب نفيه عن الله مثل نفيه
للنقائص فانه يجب تنزيه الرب عنها وينفي عنه مماثلة المخلوقات فانه كما يجب
تنزيه الرب عن كل نقص وعيب يجب تنزيهه ان يماثله شي من المخلوقات في شي
من صفات الكمال الثابتة له وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله وقل
هو الله احد دلت على النوعين فقوله احد مع قوله لم يكن له كفوا احد ينفي المماثلة
والمشاركة وقوله الصمد يتضمن جميع صفات الكمال فالنقائص جنسها منفي عن الله تعالى

وكل

وكلما اختص به المخلوق فهو من النقائص التي يجب تنزيه الرب عنها بخلاف ما يوصف به
الرب ويوصف العبد بما يليق به مثل العلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك فان هذه ليست
نقائص بل ما ثبت لله من هذه المعاني فانه يثبت لله على وجه لا يقاربه احد من المخلوقات
فضلا عن ان يماثله فيه بل ما خلقه الله في الجنة من الماكل والمشارب والملابس لا يماثل
ما خلقه في الدنيا وان اتفقا في الاسم وكلاهما مخلوق قال ابن عباس ليس في
الدنيا مما في الجنة الا الاسما فقد اخبر الله ان في الجنة لبنا وخمرا وعسلا وماء وحريرا وذهبا
وفضة وتلك الحقائق ليست مثل هذه وكلاهما مخلوق فالخالق ابعد عن مماثلة المخلوقات
من المخلوق الى المخلوق وقد سمى الله نفسه عليما حليما رؤوفا رحيما سميعا بصيرا عزيزا ملكا
جبارا متكبرا مؤمنا عظيما كريما غنيا شكورا كبيرا حفيظا شهيدا حقا وكيلا وليا وسمى
ايضا بعض مخلوقاته بهذه الاسما فسمى الانسان سميعا بصيرا وسمى نبيه رؤوفا رحيما
وسمى بعض عباده ملكا وبعضهم شكورا وبعضهم عظيما وبعضهم حليما وعليما و
سائر ما ذكر من الاسما مع العلم انه ليس المسمى بهذه الاسما من المخلوقين مماثلا للخالق
جل جلاله في شي من الاشيا وكذلك النزاع في لفظ التحيز والجهة ونحو ذلك فمن الناس من يقول
هو متحيز وهو في جهة ومنهم من يقول ليس بمتحيز وليس في جهة ومنهم من يقول هو في جهة
وليس بمتحيز ولفظ المتحيز يتناول الجسم والجوهر الفرد ولفظ الجوهر قد يراد به المتحيز
وقد يراد به الجوهر الفرد ومن الفلاسفة من يدعي اثبات جواهر قائمة بانفسها غير متحيزة
ومتاخروا اهل الكلام كالشهرستاني والرازي والامدي ونحوهم يقولون ليس في العقل
ما يحيل ذلك ولهذا كان من سلك سبيل هولا وهو انما يثبت حدوث العالم بحدوث
الاجسام يقول بتقدير وجود جواهر عقلية فليس في هذا الدليل ما يدل على حدوثها
ولهذا صار طايفة ممن خلط الكلام بالفلسفة الى قدم الجواهر العقلية وحدوث
الاجسام وان السبب الموجب لحدوثها هو حدوث تصور من تصورات النفس وكان
يقول بهذا بعض اعيان المصريين وكذلك الارموي صاحب اللباب الذي
اجاب عن شبهة الفلاسفة على دوام الفاعلية المتضمنة انه لا بد للحدوث من سبب فاجاب
بالجواب الباهر الذي اخذه من كلام الرازي في المطالب العالية فانه اجاب به وهو في
المطالب العالية يخلط كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين وهو في مسالة الحدوث والقدم
حاير وهذا الجواب من افسد الاجوبة فانه يقال ما الموجب لحدوث تلك التصورات

هو ابن دقيق العيد

الجواهر العقلية التي يثبتها الفلاسفة من العقل والنفس والمادة والصورة

دايما كان النفس عندهم لا بد ان تكون متصلة بالجسم فيمتنع وجود نفس بدون جسم وايضا
فالذين علم بالاضطرار من دين الرسل ان كل ما سوى الله مخلوق محدث كاين بعد ان لم يكن
وايضا فما يثبته الفلاسفة من الجواهر العقلية انما يوجد في الذهن لا في الخارج
واما اكثر المتكلمين فقالوا انتفا هذه معلوم بضرورة العقل وقد بسط الكلام على
هذا في غير هذا الموضع فتبين ان ما تدعي الفلاسفة اثباته من الجواهر العقلية التي هي
العقل والنفس والمادة والصورة فلا حقيقة لها في الخارج وانما هي امور معقولة في
الذهن يجردها العقل من الامور المعينة كما يجرد العقل الكليات المشتركة بين
الاصناف كالحيوانية الكلية والانسانية الكلية والكليات انما تكون كليات في الاذهان
لا في الاعيان ومن هولاء من يظن انها تكون في الخارج كليات وان في الخارج
ماهيات كلية مقارنة للاعيان غير الموجودات المعينة وكذلك منهم من يثبت كليات
مجردة عن الاعيان يسمونها المثل الافلاطونية ومنهم من يثبت دهرا مجردا عن المتحرك
والحركة ويثبت خلاء مجردا ليس هو متحيزا ولا قايما بمتحيز ويثبت هيولى مجردة
عن جميع الصور والهيولى في لغتهم بمعنى المحل يقال الفضة هيولى الخاتم والدرهم و
الخشب هيولى الكرسي اي هذا المحل الذي يصنع فيه هذه الصورة وهذه الصورة
الصناعية عرض من الاعراض ويدعون ان الجسم هيولى محل الصورة الجسمية غير
نفس الجسم القايم بنفسه وهذا غلط وانما هذا يقدر في النفس كما يقدر امتداد
مجرد عن كل ممتد وعدد مجرد عن كل معدود ومقدار مجرد عن كل مقدر وهذه
كلها امور مقدرة في الاذهان لا وجود لها في الاعيان وقد اعترف بذلك من عاد من
الفلاسفة من اهل النظر كما بسط هنا في غير هذا الموضع فالجواهر العقلية
التي يثبتها هولاء الفلاسفة يعلم بصريح العقل بعد التصور التام انتفاؤها
في الخارج واما الملايكة الذين اخبر الله عنهم فهذه لا يعرفها هولاء الفلاسفة
اتباع ارسطو ولا يذكرونها بنفي ولا اثبات كما لا يعرفون النبوات ولا تكلموا
فيها بنفي ولا اثبات انما تكلم في ذلك متاخروهم كابن سينا وامثاله الذين ارادوا
ان يجمعوا بين النبوات وبين الفلسفة فلبسوا ودلسوا وكذلك العلة الاولى
التي يثبتها هذا العالم انما يثبتوا علة غائية بتحرك الفلك للتشبه بها فحركة
الفلك من جنس تحريك الامام للمقتدي به الموتم به المقتدي الموتم اذا كان يحب

ان يتشبه

لعله المثل

٥

ان يتشبه بامامه ويقتدي بامامه ولفظ الاله في لغتهم يراد به المتبوع الامام الذي
يتشبه به فالفلك عندهم يتحرك للتشبه بالاله ولهذا جعلوا الفلسفة العليا او
الحكمة الاولى انما هي التشبه بالاله على قدر الطاقة وكلام ارسطو في علم ما بعد الطبيعة في
مقالة اللام التي هي منتهى فلسفته وفي غيرها كله يدور على هذا وتارة يشبه تحريكه
للفلك بتحريك المعشوق للعاشق لكن التحريك هنا قد يكون لمحبة العاشق ذات المعشوق
او لعوض يناله منه وحركة الفلك عندهم ليست كذلك بل يتحرك ليتشبه بالعلة الاولى مع
حبها اي حب التشبه لا حبا ان يعبدها ولا حبا شيا يحصل منها ويشبه ذلك
ارسطو بحركة النواميس لاتباعها اي اتباع الناموس فانهم يأتمون بالناموس ويقتدون
به والناموس عندهم هي السياسة الكلية والمداين التي وضعها لهم ذووا الراي والعقل
لمصلحة دنياهم لئلا يتظالموا ولا تفسد دنياهم ومن عرف النبوات منهم يظن ان شرايع الانبيا
من جنس نواميسهم وان المقصود بها مصلحة الدنيا بوضع قانون عدلي ولهذا
اوجب ابن سينا وامثاله النبوة وجعلوا النبوة لا بد منها لاجل وضع هذا الناموس
ولما كانت الحكمة العملية عندهم هي الخلقية والمنزلية والمدنية فان القوم لا يعرفون الله
بل هم ابعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير وارسطو المعلم الاول
من اعظم جهل الناس برب العالمين الى الغاية لكن لهم معرفة جيدة بالامور الطبيعية
وهذا بحر علمهم وله تفرغوا وفيه ضيعوا زمانهم واما معرفة الله تعالى فحظهم منها بخس
جدا واما ملايكته وكتبه ورسله والمعاد فلا يعرفون ذلك البتة ولم يتكلموا فيه
لا بنفي ولا اثبات وانما تكلم في ذلك متاخروهم الداخلون في الملل واما قدماء
اليونان فكانوا مشركين من اعظم الناس شركا وسحرا يعبدون الكواكب والاصنام
ولهذا عظمت عنايتهم بعلم الهيئة والكواكب لاجل عبادتها وكانوا يبنون
لها الهياكل وكان اخر ملوكهم بطليموس صاحب المجسطي لما دخلت الروم في النصرانية
في دين المسيح صلوات الله عليه وسلامه فابطلوا ما كانوا عليه من الشرك ولهذا ابدل
من بدل دين المسيح فوضع دينا مركبا من دين الموحدين ودين المشركين فان اوليك كانوا
يعبدون الشمس والقمر والكواكب ويصلون لها ويسجدون فجاء قسطنطين ملك

جعلوا ما جاءت به الرسل من العلميات والعمليات والاحكام من جنس كلام الفلاسفة في العلم والعمل

النصارى ومن اتبعهم فابتدعوا الصلاة الى الشرق وجعلوا السجود الى الشمس بدلا
عن السجود لها وكان اولئك يعبدون الاصنام المجسدة التي لها ظل فجاءت النصارى
وصورت تماثيل القديسين في الكنائس وجعلوا الصور المرقومة في الحيطان
والسقوف بدل الصور المجسدة القائمة بانفسها التي لها ظل وارسطو كان وزير الاسكندر
بن فيلبس المقدوني نسبة الى مقدونية وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين
الذين يسمون المشائين وهي اليوم خراب او غمرها الماء وهو الذي يؤرخ به النصارى
واليهود التاريخ الرومي وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة فيظن من يعظم هؤلاء
الفلاسفة انه كان وزير ذي القرنين المذكور في القرآن ليعظم بذلك قدره وهذا جهل
فان ذا القرنين كان قبل هذا بزمن طويل جدا وذو القرنين بنى سد ياجوج و
ماجوج وهذا المقدوني ذهب الى بلاد فارس لم يصل الى بلاد الصين فضلا عن السد
والملائكة التي اخبر الله ورسوله بها لا يحصي عددهم الا الله ليسوا عشرة ولا تسعة و
هم عباد الله احياء ناطقون ينزلون الى الارض ويصعدون الى السماء ولا يفعلون
الا باذن ربهم كما اخبر الله عنهم بقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا
تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وامثال هذه النصوص
وهؤلاء يدعون ان العقول قديمة ازلية وان العقل الفعال هو رب كل ما تحت هذا
الفلك والعقل الاول هو رب السموات والارض وما بينهما والملاحدة الذين دخلوا
معهم من اتباع بني عبيد كاصحاب رسائل اخوان الصفا وغيرهم وكملاحدة
المتصوفة مثل ابن عربي وابن سبعين وغيرهما يحتجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع
اول ما خلق الله العقل وفي كلام ابي حامد الغزالي في الكتب المضنون بها على
غير اهلها وغير ذلك من معاني هؤلاء قطعة كبيرة ويعبر عن مذاهبهم بلفظ الملك
والملكوت والجبروت ومراده بذلك الجسم والنفس والعقل فياخذ هؤلاء تلك العبارات
الاسلامية يودعونها معاني هؤلاء وتلك العبارات مقبولة عند المسلمين فاذا
سمعوها قبلوها ثم اذا عرفوا المعاني التي قصدها هؤلاء ضل بها من لم يعرف

حقيقة

حقيقة دين الاسلام وان هذه معاني هؤلاء الملاحدة ليست هي المعاني التي عناها
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوانه المرسلون مثل موسى وعيسى صلوات الله عليهم
اجمعين ولهذا اضل كثيرا من المتاخرين بسبب هذا الالتباس وعدم المعرفة
بحقيقة ما جاء به الرسول وما يقوله هؤلاء حتى يضل بهم خلق من اهل العلم والعبادة
والتصوف ومن ليس له غرض في مخالفة محمد صلى الله عليه وسلم بل يجب اتباعه مطلقا و
لو عرف ان هذا مخالف لما جاء به لم يقبله لكن لعدم كمال علمه بمعاني ما اخبر به الرسول و
مقاصد هؤلاء يقبل هذه الاشياء اذا كان المتكلم به ممن له نصيب وافر في العلم و
الكلام والتصوف والزهد والفقه والعبادة ويرى الطالب ان هذا مرتبة فوق
مرتبة الفقهاء الذين انما يعرفون الشرع الظاهر وفوق مرتبة المحدث الذي غايته
النقل لالفاظ لا يعلم معانيها وكذلك المغتري والمغرور يرى من يعظمه من اهل
الكلام اما موافق لهم او خائف منهم وان بحوث المتكلمين معهم في مواضع كثيرة
لم ياتوا بتحقيق تبيين فساد قولهم بل تارة يوافقونهم على اصولهم تكون فاسدة و
تارة يخالفونهم في امر قالته الفلاسفة ويكون حقا مثل ما يرى كثيرا من المتكلمين
يخالفهم في امور طبيعية ورياضية ظانا انه ينصر الشرع ويكون الشرع موافقا لما
علم بالعقل مثل استدارة الافلاك فانه لم يعلم بين السلف خلاف انها
مستديرة والآثار بذلك معروفة والكتاب والسنة قد دل على ذلك وكذلك استحالة
الاجسام بعضها الى بعض هو مما اتفق عليه الفقهاء كما قاله هؤلاء الى امور اخرى
يكون كثير من المتكلمين او اكثرهم لا خبرة لهم بما دل عليه الكتاب والسنة وآثار الصحابة
والتابعين لهم باحسان بل ينصرون مقالات يظنها دين المسلمين بل اجماع المسلمين
ولا يكون قد قالها احد من السلف بل الثابت عن السلف مخالفها فلما وقع بين
المتكلمين تقصير وجهل كثير بحقائق العلوم الشرعية وهم في العلوم العقليات
تارة يوافقون الفلاسفة على باطلهم وتارة يخالفونهم في حقهم صارت المناظرات
بينهم دولا وان كان المتكلمون اصح مطلقا في العقليات الالهية والكلية كما
انهم اقرب الى الشرعيات من الفلاسفة فان الفلاسفة كلامهم في الالهيات
والكليات العقلية كلام قاصر جدا وفيه خلط كثير وانما يتكلمون جيدا في الامور
الحسية الطبيعية وفي كلياتها فكلامهم في الغالب جيد واما الغيب الذي تخبر

كلياتها فكلامهم فيها

لعله الحسيات

الانبيا والكليات العقليه التي تعم الموجودات كلها وتقسم الموجودات قسمه صحيحه
فلا يعرفونها البته فان هذا لا يكون الا ممن احاط بانواع الموجودات وهم لا يعرفون
الا الافلاك وبعض لوازمها وهذا معرفه بقليل للموجودات جدا فان ما لا يشهده الادميون
من الموجودات اعظم قدرا مما يشهدونه بكثير ولهذا كان هولا الذين عرفوا المعرفه
الفلاسفه اذا سمعوا اخبار الانبيا بالملايكه والعرش والكرسي والجنه والنار وهم يظنون
ان لا موجود الا ما علموه هم والفلاسفه يصيرون حايرين متاولين لكلام الانبيا على
ما عرفوه وان كان هذا لا دليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم فان عدم العلم ليس علما
بالعدم لكن نفيهم هذا كنفي الطبيب الجن لانه ليس في صناعه الطب ما يدل على ثبوت
الجن وليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن وهكذا اجتمع من عرف نوعا من العلم و ٥
امتاز به على العامه الذين لا يعرفونه فيبقى بجهله نافيا لما لا يعلمه وبنو ادم ضلالهم
فيما جحدوه ونفوه بغير علم اكثر من ضلالهم فيما اثبتوه وصدقوا به قال تعالى
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله وهذا لان الغالب على الادميين صحه
الحس والعقل فاذا اثبتوا شيا وصدقوا به كان حقا ولهذا كان التواتر مقبولا
من جميع اجناس بني ادم لانهم يخبرون عما شاهدوه وسمعوه وهذا امر لا
يشترك الخلق العظيم في الغلط فيه ولا في تعمد الكذب فيه فاذا علم انهم لم يتواطوا
عليه ولم ياخذه بعضهم عن بعض كما يوخذ المذهب والاراء التي يتلقاها
المتاخر عن المتقدم وقد علم ان هذا مما لا يغلط فيه عاده علم قطعا صدقه فان المخبر
اما ان يتعمد الكذب واما ان يغلط وكلاهما مامون في المتواترات بخلاف ما نفوه هم و
كذبوا به فان غالبهم او كثيرا منهم ينفون ما لا يعلمون ويكذبون بما لم يحيطوا بعلمه فصار
هولا الذين ظنوا الموجودات ما عرفه هولا المتفلسفه اذا سمعوا ما اخبرت به الانبيا
من العرش والكرسي قالوا العرش هو الفلك التاسع والكرسي هو الثامن وقد تكلمنا على
ذلك في مسله الاحاطه وبينا جهل من قال هذا عقلا وشرعا واذا سمعوهم يذكرون
الملايكه ظنوا انهم العقول والنفوس التي يثبتها المتفلسفه والقوى التي في الاجسام
وكذلك الجن والشياطين يظنون انها اعراض قايمه بالنفوس حيث كان هذا مبلغهم من
العلم وكذلك يظنون ما ذكره ابن سينا وامثاله من الغرايب في هذا العالم سببها قوى

فلكيه

فلكيه او طبيعيه او نفسانيه ويجعل معجزات الانبيا من باب القوى النفسانيه وهي من
جنس السحر لكن الساحر قصده الشر والنبي قصده الخير وهذا كله من الجهل بالامور
الكليه المحيطه بالموجودات وانواعها ومن الجهل بما جاء به الرسول فلا يعرفون من العلوم
الكليه ولا العلوم الالهيه الا ما عرفه الفلاسفه المتقدمون وزيادات تلقوها عن بعض
اهل الكلام او عن اهل المله فلهذا صار كلام المتاخرين كابن سينا وامثاله في
الالهيات والكليات اجود من كلام سلفه ولهذا قربت فلسفه اليونان الى اهل
الالحاد والمبتدعه من اهل الملل لما فيها من ثبوت الملل ولهذا دخل فيها بنو عبيد
الملاحده فاخذوا عن هولا الفلاسفه الصابيه المشركين العقل والنفس وعن
المجوس النور والظلمه وسموهم السابق والتالي وكذلك الملاحده المنتسبون الى التصوف
وامثاله كابن سبعين وامثاله سلكوا مسلكا جمعوا فيه بزعمهم بين الشرع والفلسفه
وهم ملاحده ليسوا من الثنتين وسبعين فرقه وقد بسط الكلام على هولا وهولا في غير
هذا الموضع وانما ذكروا هنا لان اهل الكلام المحدث صاروا بعدم علمهم بما عليه السلف و
ايمه السنه من الكتاب والسنه واثار الصحابه قلوا ووقعوا فيه من الكلاميات الباطله ما دخل
بسببهم هولا الفلاسفه في الاسلام امورا باطله وحصل بهم من الضلال والبغي ما
لا يتسع هذا الموضع لذكره ولما احدثت الجهميه محنتهم ودعوا الناس اليها وضرب احمد
بن حنبل في سنه عشرين ومايتين كان مبدا حدوث القرامطه الملاحده الباطنيه من
ذلك الزمان فصارت البدع باب الالحاد كما ان المعاصي بريد الكفر وبسط هذا موضع
اخر والمقصود هنا الكلام على لفظ التحيز والجهه وهولا المتكلمون المتفلسفه
صار بينهم نزاع في الملايكه هل هي متحيزه ام لا فمنهم من مال الى الفلسفه وراى ان الملايكه هي
ليست ح العقول والنفوس التي يثبتها الفلاسفه وان تلك ليست متحيزه وقال ان الملايكه متحيزه
لا سيما طايفه من الفلاسفه لم تجعل عددها عشره عقول وتسعه نفوس كما هو
المشهور عن المشائين بل لا دليل على نفي الزياده وان النبوات قد اخبرت بكثره الملايكه
فاراد ان يثبت كثرتهم بطريقه فلسفيه كما فعل ذلك ابو البركات صاحب المعتبر والرازي
عقول او كلهم في المطالب العاليه وغيرهما واما المتكلمون فانهم يقولون ان كل محدث او كل مخلوق فانه
اما متحيز واما قايم بمتحيز وكثير منهم يقول كل موجود اما متحيز واما قايم بمتحيز ويقول

العقل موجود الا كذلك كما قاله طوايف من اهل الكلام والنظر ثم الفلاسفة كابن سينا
واتباعه والشهرستاني والرازي وغيرهم لما راد والاثبات موجود ليس كذلك كان اكبر
عمدتهم اثبات الكليات كالانسانية المشتركة والحيوانية المشتركة واذا كانت هذه لا
تكون كليات الا في الذهن فلم ينازعهم عامة الناس في ذلك وانما نازعهم في اثبات موجود
خارج الذهن قايم بنفسه لا يمكن الاحساس به بحال بل لا يكون الا معقولا وقالوا هم
المعقول ما كان في العقل واما ما كان موجودا قايما بنفسه فلا بد ان يمكن الاحساس به
وان لم نحس نحن به في الدنيا كما لا نحس بالجن والملايكة وغير ذلك فلا بد ان يحس به غيرنا
كالملايكة والجن وان نحس به بعد الموت او في الدار الاخرة او يحس به بعض الناس دون
بعض في الدنيا كالانبيا الذين راوا الملايكة وسمعوا كلامهم وهذه الطريقة و
هو ان كل قايم بنفسه يمكن رويته هي التي سلكها ايمة النظار كابن كلاب وغيره و
سلكها ابن الزاغوني وغيره واما من قال ان كل موجود تجوز رويته او يجوز ان يحس
بساير الحواس الخمس كما يقوله الاشعري وموافقوه كالقاضي ابي يعلى وابي المعالي و
غيرهما فهذه الطريقة مردودة عند جماهير العقلا بل يقولون فسادها معلوم
بالضرورة بعد التصور التام كما بسط في موضعه وكذلك نزاعهم في روح الانسان التي
تفارقه بالموت على قول الجمهور الذين يقولون هي عين قايمة بنفسها ليست عرضا من
اعراض البدن كالحياة وغيرها ولا جزءا من اجزاء البدن كالهوا الخارج منه فان كثيرا
من المتكلمين زعموا انها عرض قايم بالبدن او جزء من اجزاء البدن لكن هذا يخالف
الكتاب والسنة واجماع السلف والخلف وقول جماهير العقلا من جميع الامم ويخالف
الادلة وهذا مما استطال به الفلاسفة على كثير اهل الكلام قال القاضي ابو بكر
اكثر المتكلمين على ان الروح عرض من الاعراض وبهذا نقول اذا لم يعن بالروح النفس
فانه قال والروح الكاين في الجسد ضربان احدهما الحياة القايمة به والاخر النفس والنفس
ريح يثبت به والمراد بالنفس ما يخرج بنفس المتنفس من اجزاء الهوا المتحلل من المسام
وهذا قول الاسفرايني وغيره وقال ابن فورك هو ما يجري في تجاويف الاعضاء
وابو المعالي خالف هولاء واحسن في مخالفتهم فقال ان الروح اجسام لطيفة
مشابكة للاجسام المحسوسة اجرى الله العادة بحياة الاجساد ما استمرت مشابكتها لها

فاذا

فاذا فارقتها تعقب الموت الحياة في استمرار العادة ومذهب الصحابة والتابعين
لهم باحسان وساير سلف الامة وايمة السنة ان الروح عين قايمة بنفسها تفارق البدن
وتنعم وتعذب ليست هي البدن ولا جزءا من اجزايه كالنفس المذكور ولما كان الامام
احمد ممن نص على ذلك كما نص عليه غيره من الايمة لم يختلف اصحابه في ذلك لكن طايفة منهم كالقاضي
ابي يعلى زعموا انها جسم وانها الهوا المتردد في مخارق البدن موافقة لاحد المعنيين الذين
ذكرهما ابن الباقلاني وهذه الاقوال لما كانت من اضعف الاقوال تسلط بها عليهم خلق كثير
والمقصود هنا ان الذين قالوا انها عين قايمة غير البدن واجزايه واعراضه تنازعوا
هل هي جسم متحيز على قولين كتنازعهم في الملايكة فالمتكلمون منهم يقولون جسم و
المتفلسفة يقولون جوهر عقلي ليس بجسم وقد ذكرنا فيما تقدم ان ما تسميه المتفلسفة
جواهر عقلية لا توجد الا في الذهن واصل تسميتهم المجردات والمفارقات هو ما اخذ من نفس
الانسان فانها لما كانت تفارق بدنه بالموت وتتجرد عنه سموها مفارقة مجردة ثم اثبتوا
ما اثبتوه من العقول والنفوس وسموها مفارقات ومجردات لمفارقتها المادة التي هي
عندهم الجسم وهذه المفارقات عندهم ما لا يكون جسما ولا قايما بجسم لكن النفوس متعلقة
بالجسم تعلق التدبير والعقل لا تعلق له بالاجسام اصلا ولا ريب ان جماهير العقلا
على اثبات الفرق بين البدن والروح التي تفارق والجمهور يسمون ذلك روحا وهذا
جسما لكن لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين بل الجسم هو الجسد كما تقدم
وهو الجسم الغليظ والروح ليست مثل البدن في الغلظ والكثافة ولذلك لا تسمى جسما فمن
جعل الملايكة والارواح ونحو ذلك اجساما في المعنى اللغوي فقد اصاب في ذلك ورب العالمين
اولى ان لا يكون جسما فان من المشهور في اللغة الفرق بين الارواح والاجسام واما
اهل الاصطلاح من المتكلمين والمتفلسفة فيجعلون مسمى الجسم اعم من ذلك وهو ما امكنت
الاشارة الحسية اليه وما قيل انه هنا وهناك وما قبل الابعاد الثلاثة ونحو ذلك وكذلك
المتحيز في اصطلاح هولاء هو الجسم ويدخل فيه الجوهر الفرد عند من اثبته وقد تقدم
معنى الجسم في اللغة واما المتحيز فقد قال الله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
او متحيزا الى فية فقد باء بغضب من الله وقال الجوهري الحوز الجمع وكل من ضم
الى نفسه شيا فقد حازه حوزا وحيازة واحتازه ايضا والحوز والحيز السوق اللين

قف
على مذهب السلف في الروح وانها عين قايمة بنفسها

وتأمل معنى التحيز وحكايته مع

وقد حاز الابل يحوزها ويحيزها وحوز الابل ساقها الى الماء وقال الاصمعي اذا كانت
الابل بعيدة المرعى عن الماء فاول ليلة توجهها الى الماء ليلة الحوز وتحوزت الحية وتحيزت
تلوت يقال ما لك تتحوز تحوز الحية وتتحيز تحيز الحية قال سيبويه هو تفيعل
من حزت الشيء قال القطامي تحيز مني خشية ان اضيفها كما انحازت
الافعى مخافة ضارب يقول تتنحى عني هذه العجوز وتتأخر خشية ان انزل عليها ضيفا
والحيز ما انضم الى الدار من مرافقها وكل ناحية حيز واصله في الدار والحيز بتخفيف حيز مثل
هين وهين ولين ولين والجمع احياز والحوزة الناحية وانحاز عنه انعدل وانحاز القوم تركوا
مركزهم الى اخر يقال للاولياء انحازوا عن العدو وحاصوا وللاعداء انهزموا وولوا مدبرين
وتحاوز الفريقان في الحرب اي انحاز كل فريق عن الاخر فهذا المذكور عن اهل اللغة
في هذا اللفظ ومادته يقتضي ان التحيز والانحياز والتحوز ونحو ذلك يتضمن عدولا من محل
الى محل وهذا اخص من كون الشيء في حيز امر موجود فهم يراعون في معنى الحوز ذهابه من جهة
الى جهة ولهذا يقولون حزت المال وحزت الابل وذلك يتضمن نقله من جهة الى
جهة فالشيء المستقر في موضعه كالجبل والشمس والقمر لا يسمونه متحيزا واعم من هذا ان يراد
بالمتحيز ما يحيط به حيز موجود فيسمى كل ما احاط به غيره انه متحيز وعلى هذا فليست السماء
والارض متحيزة بل ما في العالم متحيز الا سطح العالم الذي لا يحيط به شيء فان ذلك ليس بمتحيز
وكذلك العالم جملة ليس بمتحيز بهذا الاعتبار فانه ليس في عالم اخر احاط به والمتكلمون
يريدون بالمتحيز ما هو اعم من هذا والحيز عندهم اعم من المكان فالعالم كله في حيز وليس
هو في مكان والمتحيز عندهم لا يعتبر فيه ان يحوزه غيره ولا يكون له حيز وجودي بل كل
ما اشير اليه وامتاز منه شيء عن شيء فهو متحيز عندهم ثم هم مختلفون بعد هذا في المتحيز
هل هو مركب من الجواهر المفردة او من المادة والصورة او هو غير مركب لا من هذا
ولا من هذا كما تقدم نزاعهم في الجسم فالجسم عندهم متحيز ولا يخرج عنه الا الجوهر الفرد عند
من اثبته وهؤلاء يعتقد كثير منهم او اكثرهم ان كل متحيز فهو مركب يقبل
الانقسام الى الجزء الذي لا يتجزأ بل يظن بعضهم ان هذا اجماع المسلمين واكثرهم يقولون
المتحيزات متماثلة في الحد والحقيقة ومن كان معنى المتحيز عنده هذا فعليه ان ينزه

الله تعالى

الله تعالى ان يكون متحيزا بهذا الاعتبار واذا قال الملائكة متحيزون بهذا الاعتبار
او الروح متحيزة بهذا الاعتبار نازعه في ذلك جمهور العقلاء من المسلمين وغيرهم بل
لا يعرف احد من سلف الامة وائمتها يقول ان الملائكة متحيزة بهذا الاعتبار ولا قالوا الفاظا
يدل على هذا المعنى وكذلك روح بني ادم التي تفارقه بالموت لم يقل احد من السلف
انها متحيزة بهذا الاعتبار ولا قال فيها الفاظا يدل على هذا المعنى فاذا كان اثبات هذا التحيز
للملائكة والروح بدعة في الشرع وباطلا في الشرع فلان يكون ذلك بدعة وباطلا في رب
العالمين بطريق الاولى والاحرى ومن هنا يتبين ان عامة ما يقوله المتفلسفة
وهؤلاء المتكلمة في نفوس بني ادم وفي الملائكة باطل فكيف بما يقولونه في رب العالمين
ولهذا لا توجد الكتب المصنفة التي يذكر فيها مقالات هؤلاء وهؤلاء في هذه المسائل
الكبار في رب العالمين وفي الملائكة وفي ارواح بني ادم وفي المعاد وفي باب النبوات
ليس فيها قول يطابق العقل والشرع ولا يعرفون ما قاله السلف والائمة في هذا الباب
ولا ما دل عليه الكتاب والسنة فلهذا يغلب على فضلائهم الحيرة فانهم اذا انتهى النظر
لم يصلوا الى العلم لان ما نظروا فيه من كلام الطائفتين مشتمل على باطل من الجانبين ولهذا
قال ابو عبد الله الرازي في اخر عمره لقد تاملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية
فما رايتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورايت اقرب الطرق طريقة القران اقرا في
الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب والرحمن على العرش استوى واقرا في النفي ليس كمثله شيء ولا
يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي واما من اعتقد ان المتحيز
هو ما باين غيره فانحاز عنه وليس من شرطه ان يكون مركبا من الاجزاء المنفردة ولا ان
يقبل التفريق والتقسيم فاذا قال ان الرب تعالى متحيز بهذا المعنى اي انه بائن عن مخلوقاته
فقد اراد معنى صحيحا لكن اطلاق هذه العبارة بدعة وفيها تلبيس فان هذا الذي
اراده ليس معنى المتحيز في اللغة وهو اصطلاح له ولطائفته وفي المعنى المصطلح نزاع
بين العقلاء فصار يحتمل معنى فاسدا يجب تنزيه الرب عنه وليس للانسان ان
يطلق لفظا يدل عند غيره على معنى فاسد او يفهم ذلك الغير ذلك المعنى الفاسد من غير
بيان مراده بل هؤلاء المتكلمون الذين ارادوا بالمتحيز ما كان مؤلفا من اجزاء لا تقبل

من اعتقد ان المتحيز هو ما باين غيره الخ

القسمة وهو ما كان قابلا للقسمة اذا قالوا ان كل ممكن او كل محدث او كل مخلوق فهو اما
متحيز واما قائم بمتحيز كان جماهير العقلاء مخالفين لهم في هذا التقسيم ولم يكن احد من ائمة
المسلمين لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ولا سائر ائمة المسلمين
موافقا لهم على هذا التقسيم فكيف اذا قال من قال منهم كل موجود فهو اما متحيز واما قائم
بمتحيز واراد بالمتحيز ما اراده هؤلاء فان قوله حينئذ يكون ابعد عن الشرع والعقل
من قول اولئك ولهذا طالبهم منازعوهم بالدليل على هذا الحصر وليس خطا هؤلاء
من جهة ما اثبته المتفلسفة من الجواهر العقلية فان تلك قد علم بطلانها بصريح العقل
ايضا وما يقوله هؤلاء المتفلسفة في النفس الناطقة من انها لا يشار اليها
ولا توصف بحركة ولا سكون ولا صعود ولا نزول وليست داخل العالم ولا خارجه هو
ايضا كلام ابطل من كلام اولئك المتكلمين عند جماهير العقلاء لا سيما من يقول منهم
كابن سينا وامثاله انها لا تعرف شيئا من الامور الجزئية وانما تعرف الامور الكلية فان
هذا مكابرة ظاهرة فانها تعرف بدنها وتعرف كل ما تراه بالبدن وتشمه وتسمعه وتذوقه
وتقصده وتامر به وتحبه وتكرهه الى غير ذلك مما تتصرف فيه بعلمها وعملها فكيف يقال
انها لا تعرف الامور المعينة وانما تعرف امورا كلية وكذلك قولهم ان تعلقها بالبدن
ليس الا مجرد تعلق التدبير والتصريف كتدبير الملك لمملكته من افسد الكلام فان
الملك يدبر امر مملكته فيامر وينهى ولكن لا يصرفهم هو بمشيئته وقدرته ان لم يتحركوا هم
بارادتهم وقدرتهم والملك لا يلتذ بلذة احدهم ولا يتالم بتالمه وليس كذلك الروح و
البدن بل قد جعل الله بينهما من الاتحاد والائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به ولكن
دخول الروح فيه ليس هو مماثلا لدخول شي من الاجسام المشهورة فليس دخولها فيه
كدخول الماء ونحوه من المائعات في الاوعية فان هذه انما تلاقي السطح الداخل في الاوعية
لا بطونها ولا ظهورها وانما يلاقي الاوعية منها اطرافها دون اوساطها وليس كذلك
الروح والبدن بل الروح متعلقة بجميع اجزاء البدن باطنه وظاهره وكذلك
دخولها فيها ليس كدخول الطعام والشراب في بدن الاكل فان ذلك له مجار معروفة و
هو مستحيل الى غير ذلك من صفاته ولا جريانها في البدن كجريان الدم فان الدم يكون
في بعض البدن دون بعض وفي الجملة كل ما يذكر من النظائر لا يكون كل شي منه

متعلقا

متعلقا بالاخر بخلاف الروح والبدن لكن هي مع هذا في البدن قد ولجت فيه وتخرج منه
وقت الموت وتسل منه شيئا فشيئا فتخرج من البدن شيئا فشيئا الا نفارقه كما يفارق
الملك مدينته التي يدبرها والناس لما لم يشهدوا لها نظيرا عسر عليهم التعبير
عن حقيقتها وهذا تنبيه لهم على رب العالمين لم يعرفوا حقيقته ولا
تصوروا كيفيته سبحانه وتعالى وان ما يضاف اليه من صفاته هو على ما يليق به جل جلاله
فان الروح التي هي بعض عبيده توصف بانها تعرج اذا نام الانسان وتسجد تحت العرش
وهي مع هذا في بدن صاحبها لم تفارقه بالكلية والانسان في نومه يحس بتصرفات روحه
تصرفات تؤثر في بدنه فهذا الصعود الذي توصف به الروح لا يماثل صعود المشهودات فانها
اذا صعدت الى مكان فارقت الاول بالكلية وحركتها الى العلو حركة انتقال من مكان الى
مكان وحركة الروح بعروجها وسجودها ليس كذلك فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله
بانه ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة وانه يدنو عشية عرفة الى الحاج وانه كلم موسى في
الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة وانه استوى الى السماء وهي دخان فقال
لها وللارض ائتيا طوعا او كرها لم يلزم من ذلك ان تكون هذه الافعال من جنس ما
نشاهده من نزول هذه الاعيان المشهودة حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان و
شغل اخر فان نزول الروح وصعودها لا يستلزم ذلك فكيف برب العالمين و
كذلك الملائكة لهم صعود ونزول من هذا الجنس فلا يجوز نفي ما اثبته الله ورسوله من الاسماء
والصفات ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات لا سيما ما نشاهده من المخلوقات
فان ما ثبت لما لا نشاهده من المخلوقات من الاسماء والصفات ليس مماثلا لما نشاهده
منها فكيف برب العالمين الذي هو ابعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق
وكل مخلوق فهو اشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى عما
يقول الظالمون علوا كبيرا وهذا الذي نبهنا عليه مما يظهر به ان ما يذكره صاحب
المحصل وامثاله من تقسيم الموجودات على راي المتفلسفة والمتكلمين كله تقسيم
غير حاصر وكل من الفريقين مقصر عن سلف اما المتكلمون فلم يسلكوا من التقسيم
المسلك الذي دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الامة وكذلك هؤلاء المتفلسفة

Copyright © King Saud University

اتباع ارسطو لم يسلكوا مسلك الفلاسفة الاساطين المتقدمين فان اولئك كانوا
يقولون بحدوث هذا العالم وكانوا يقولون ان فوق هذا العالم عالما اخر يصفونه ببعض
ما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الجنة وكانوا يثبتون معاد الابدان كما يوجد هذا في كلام
سقراط وثاليس وغيرهما من اساطين الفلاسفة وقد ذكروا ان اول من قال منهم بقدم
العالم ارسطو وهذه الالفاظ المحدثة المجملة النافية مثل لفظ المركب والمولف والمنقسم
ونحو ذلك قد صار كل من اراد نفي شي مما اثبته الله لنفسه من الاسما والصفات عبر بها عن
مقصوده فيتوهم من لا يعرف مراده ان المراد تنزيه الرب الذي ورد به القران وهو
اثبات احديته وصمديته ويكون قد ادخل في تلك الالفاظ ما يراه هو منفيا وعبر عنه
بتلك العبارة وجعل له اصطلاحا اصطلح عليه هو ومن وافقه على ذلك المذهب
وليس ذلك من لغة العرب التي نزل بها القران ولا من لغة احد من الامم ثم جعل ذلك
المعنى هو مسمى الاحد والصمد والواحد ونحو ذلك من الاسما الموجودة في الكتاب والسنة
ويجعل ما نفاه من المعاني التي اثبتها الله ورسوله من تمام التوحيد واسم التوحيد اسم
معظم جاءت به الرسل ونزلت به الكتب فاذا جعل تلك المعاني التي نفاها من التوحيد
ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول انه يقول بالتوحيد الذي جاءت به الرسل
ويسمي طايفته الموحدين كما يفعل ذلك الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم على نفي شي من
الصفات ويسمون ذلك توحيدا ويسمون علمهم علم التوحيد كما تسمي المعتزلة ومن
وافقهم على نفي القدر عدلا ويسمون انفسهم العدلية واهل العدل ومثل هذه البدع
كثيرة جدا يعبر بالفاظ الكتاب والسنة عن معان مخالفة لما اراد الله ورسوله بتلك
الالفاظ ولا يكون اصحاب تلك الاقوال تلقوها ابتداء عن الله عز وجل ورسوله صلى الله
عليه وسلم بل عن شبه حصلت لهم وجعلوا التعبير عنها بالفاظ الكتاب والسنة
حجة لهم ليظهر بذلك انهم متابعون للرسول لا مخالفون له وكثير منهم لا يعرفون ان ما
ذكروه مخالفا للرسول بل يظن ان هذا المعنى الذي اراده هو الذي اراده الرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه فلهذا احتاج المسلمون الى شيئين احدهما معرفة
ما اراد الله ورسوله بالفاظ الكتاب والسنة بان يعرفوا لغة القران التي بها نزل
وما قاله الصحابة والتابعون لهم باحسان وساير علما المسلمين في معاني تلك
الالفاظ فان الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما اراد بتلك الالفاظ و

بلغ مقابلة

كانت

كانت معرفة الصحابة لمعاني القران اكمل من حفظهم لحروفه وقد بلغوا تلك المعاني الى
التابعين اعظم مما بلغوا حروفه فان المعاني العامة التي يحتاج اليها عموم المسلمين مثل
معنى التوحيد ومعنى الواحد والاحد والايمان والاسلام ونحو ذلك كان جميع الصحابة
يعرفون ما احب الله ورسوله من معرفتها ولا يحفظ القران كله الا القليل منهم وان كان كل شي
من القران يحفظه منهم اهل التواتر والقران مملو من ذكر وصف الله بانه احد وواحد
ومن ذكر ان الهكم واحد ومن ذكر انه لا اله الا الله ونحو ذلك فلا بد ان يكون الصحابة يعرفون
ذلك فان معرفته اصل الدين وهو اول ما دعا الرسول اليه الخلق وهو اول ما يقاتلهم عليه
وهو اول ما امر رسله ان يامر الناس به وقد تواتر عنه انه اول ما دعا الخلق الى ان يقولوا
لا اله الا الله ولما امر بالجهاد بعد الهجرة قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
واني رسول الله وفي الصحيحين انه لما بعث معاذا الى اليمن قال له انك تاتي قوما من
اهل الكتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فانهم
اطاعوك بذلك فاعلمهم ان الله قد افترض عليهم صدقة توخذ من اغنيايهم فترد على
فقرايهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرايم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس
بينها وبين الله حجاب فقال لمعاذ ليكن اول ما تدعوهم اليه التوحيد ومع هذا كانوا
من اهل الكتاب كانوا يهودا فان اليهود كانوا كثيرين بارض اليمن وهذا الذي امر به
معاذا موافق لقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة
فخلوا سبيلهم وفي الاية الاخرى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم
في الدين وهذا مطابق لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء
ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة وفي الصحيحين عنه انه قال الايمان بضع
وستون او بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن
الطريق والحيا شعبة من الايمان فالمقصود ان معرفة ما جاء به الرسول وما اراده
بالفاظ القران والحديث هو اصل العلم والايمان والسعادة والنجاة ثم معرفة ما قال
الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول والمعاني المخالفة لها والالفاظ
نوعان نوع يوجد في كلام الله ورسوله ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله فيعرف

Copyright © King Saud University

معنى الاول ويجعل ذلك المعنى هو الاصل ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني ويرد الثاني الى الاول
هذا طريق اهل الهدى والسنة وطريق اهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون
الالفاظ التي احدثوها ومعانيها هي الاصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعا لهم
فيردونها بالتاويل والتحريف الى معانيهم ويقولون نحن نفسر القران بالعقل واللغة يعنون
انهم يعتقدون معنى بعقلهم ورايهم ثم يتاولون القران عليه بما يمكنهم من التاويلات و
التفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه ولهذا قال الامام احمد اكثر ما يخطى
الناس من جهة التاويل والقياس وقال يجتنب المتكلم في الفقه هذين الاصلين
المجمل والقياس وهذه الطريق يشترك فيها جميع اهل البدع الكبار والصغار فهي
طريق الجهمية والمعتزلة ومن دخل في التاويل من الفلاسفة فيقولون ان المراد بخطاب
الرسول انما هو ان يخيل الى الجمهور ما ينتفعون به في مصالح دنياهم وان لم يكن ذلك
مطابقا للحق قالوا وليس مقصود الرسول بيان الحق وتعريفه بل مقصوده ان
يخيل اليهم ما يعتقدون ويجعلون خاصية النبوة قوة التخييل فهم يقولون ان
الرسول لم يبين فلم يفهم بل ولم يقصد ذلك وهم يتنازعون هل كان يعلم الامور على
ما هي عليه على قولين منهم من قال كان يعلمها لكن ما كان يمكنه بيانها وهؤلا قد
يجعلون الرسول افضل من الفيلسوف ومنهم من يقول بل ما كان يعرفها او ما كان
حاذقا في معرفتها وانما كان يعرف الامور العملية وهؤلا يجعلون الفيلسوف
الاكمل من النبي لان الامور العلمية فهؤلا يجعلون خبر الله وخبر الرسول انما فيه التخييل
واولئك يقولون لم يقصد به التخييل ولكن قصد معنى يعرف بالتاويل وكثير من
اهل الكلام الجهمية يوافق اولئك على انه ما كان يمكنه ان يبوح بالحق في باب التوحيد
فخاطب الجمهور بما يخيل لهم كما يقولون انه لو قال ان ربكم ليس بداخل العالم ولا خارجه
ولا يشار اليه ولا هو فوق العالم ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه وقالوا هذا لا يعرف
قالوا فخاطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم رب يعبدونه وان كان يعرف ان التجسيم باطل
وهذا يقوله طوايف من اعيان الفقها المتاخرين المشهورين الذين يظنون ان
مذهب النفاة هو الصحيح واحتاجوا ان يعتذروا عما جاء به الرسول من الاثبات

كما يوجد

وانما ظهر الكلام الاصطلاحي والاسماء والالفاظ المحدثة

الكمل في العلمية

كما يوجد في كلام غير واحد ونارة يقولون انما عدل الرسول عن بيان الحق ليجتهدوا
في معرفة الحق من غير تعريف ويجتهدوا في تاويل الفاظه فيعظم اجورهم على ذلك وهو اجتهادهم
في عقلياتهم وتاويلاتهم ولا يقولون انه قصد افهام العامة الباطل كما يقوله المتفلسفة
وهذا قول اكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكهم كابن
عقيل وامثاله وابو حامد وابن رشد الحفيد وامثالهما يوجد في كلامهم المعنى الاول
وابو حامد انما ذم التاويل في اخر عمره وصنف الجام العوام عن علم الكلام محافظة على
هذا الاصل لانه راى مصلحة الجمهور لا تقوم الا بابقا الظواهر على ما هي عليه وان كان
هو يرى ما ذكره في كتبه المضنون بها ان النفي هو الثابت في نفس الامر فلم يجعلوا مقصوده
بالخطاب البيان والهدى كما وصف الله كتابه ونبيه حيث قال هدى للمتقين وقال
هذا بيان للناس وقال انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وقال وما على الرسول الا
البلاغ المبين وقال كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور وامثال ذلك
وقال النبي صلى الله عليه وسلم تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي
الا هالك وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم وقال ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى
صراط مستقيم وقال فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اولئك هم المفلحون وثم طايفة ثالثة كثرت في المتاخرين
المنتسبين الى السنة يقولون ما يتضمن ان الرسول لم يكن يعرف معاني ما انزل عليه من القران
كايات الصفات بل لا ربه قولهم ايضا انه كان يتكلم باحاديث الصفات ولا يعرف معناها
وهؤلا ما كانوا لما راوا المشهور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين ان الوقف التام
عند قوله وما يعلم تاويله الا الله وافقوا السلف واحسنوا في هذه الموافقة لكن ظنوا ان
المراد بالتاويل هو معنى اللفظ وتفسيره او هو التاويل الاصطلاحي الذي يجري في كلام
كثير من متاخري اهل الفقه والاصول وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال

Copyright of King Saud University

المرجوح لدليل يقترن به فهم قد سمعوا كلام هؤلاء وهؤلاء فصار لفظ التاويل عندهم هذا
معناه ولما سمعوا قول الله تعالى وما يعلم تاويله الا الله ظنوا ان لفظ التاويل في القران
معناه هو معنى لفظ التاويل في كلام هؤلاء فلزم من ذلك ان لا يعلم احد معنى هذه النصوص
الا الله لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما بل كان الرسول على قولهم يتلو اشرف ما في القران من
الاخبار عن الله باسمائه وصفاته وهو لا يعرف معنى ذلك وهؤلاء كثير منهم يذمون
ويبطلون تاويلات اهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهما وهذا جيد لكن قد يقولون
تجرى على ظواهرها وما يعلم تاويلها الا الله فان عنوا بظواهرها ما يظهر منها من المعاني
كان هذا مناقضا لقولهم ان لها تاويلا يخالف ظاهرها لا يعلمه الا الله وان عنوا بظواهرها
مجرد الالفاظ كان معنى كلامهم انه تكلم بهذه الالفاظ وله باطن يخالف ما ظهر منها
وهو التاويل وذلك لا يعلمه الا الله وفيهم من يريد باجرائها على ظواهرها هذا المعنى و
فيهم من يريد الاول وعامتهم يريدون بالتاويل المعنى الثالث وقد يريدون به الثاني
فانه احيانا قد يفسر النص بما يوافق ظاهره ويبين ان هذا ليس من التاويل الخارج
فياتون بذلك ويكرهون تدبر النصوص والنظر في معانيها اعني النصوص التي يقولون انه
لم يعلم تاويلها الا الله ثم هم في هذه النصوص بحسب عقائدهم فان كانوا من القدرية
قالوا النصوص المثبتة لكون العبد فاعلا بحكمه والنصوص المثبتة لكون الله تعالى خالق
افعال العباد او مريدا لكل ما وقع نصوص متشابهة لا يعلم تاويلها الا الله اذا كانوا ممن
لا يتاولونها فان عامة الطوائف منهم من يتاول ما يخالف قوله ومنهم من لا يتاوله وان
كانوا من الصفاتية المثبتين من الصفات التي زعموا انهم يعلمونها بالعقل دون الصفات
الخبرية مثل كثير من متاخري الكلابية كابي المعالي في اخر عمره وابن عقيل في كثير من كلامه
قالوا عن النصوص المتضمنة للصفات التي لا تعلم عندهم بالعقل هذه نصوص من
متشابه لا يعلم تاويلها الا الله وكثير منهم يكون له قولان وحالان تارة
يتاول ويوجب التاويل او يجوزه وتارة يحرمه كما يوجد لابي المعالي ولابن عقيل
ولامثالهما من اختلاف الاقوال ومن اثبت العلو بالعقل وجعله من الصفات
العقلية كابي محمد بن كلاب وابي الحسن بن الزاغوني ومن وافقهم كالقاضي ابي يعلى
في اخر قوليه وابي محمد اثبتوا العلو وجعلوا الاستوا من الصفات الخبرية التي

الخبرية

يقولون

يقولون لا يعلم تاويلها الا الله وان كانوا ممن يرى الفوقية والعلو ايضا من الصفات الخبرية
كقول القاضي ابي بكر واكثر الاشعرية وقول القاضي ابي يعلى في اول قوليه وابن عقيل في كثير
من كلامه وابي بكر البيهقي وابي المعالي وغيرهم [illegible] وهذه الامور مبسوطة
في موضعها والمقصود هنا ان كل طائفة تعتقد من الاراء ما يناقض ما دل عليه
القران يجعلون تلك النصوص من المتشابه ثم ان كانوا ممن يرى الوقف عند قوله الا الله
قالوا لا يعلم معناها الا الله فيلزم ان لا يكون محمد وجبريل ولا احد علم معاني تلك
الايات والاخبار وان راوا الوقف على قوله والراسخون في العلم جعلوا الراسخين يعلمون
ما يسمونه هم تاويلا ويقولون ان الرسول انما لم يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة
الحق من غير جهته بعقولهم واذهانهم ويجتهدوا في تخريج الفاظه على اللغات العربية
فيجتهدون في معرفة غرائب اللغات التي يتمكنون بها من التاويل هذا ان قالوا
انه قصد بالقران والحديث معنى حقا في نفس الامر وان قالوا بقول الفلاسفة والباطنية
الذين لا يرون التاويل قالوا لم يقصد بهذه الالفاظ الا ما يفهمه العامة والجمهور وهو
باطل في الامر لكن اراد ان يخيل اليهم ما ينتفعون به ولم يمكنه ان يعرفهم الحق فانهم
كانوا ينفرون عنه ولا يقبلونه واما من قال من الباطنية الملاحدة
وفلاسفتهم بالتاويل فانه يتاول كل شيء مما اخبرت به الرسل من امر الايمان واليوم الاخر
ثم يقولون العبارات كما هو معروف من تاويلات القرامطة الباطنية وابو حامد في
الاحيا ذكر قول هؤلاء المتاولين من الفلاسفة وقال انهم اسرفوا في التاويل واسرفت
الحنابلة في الجمود وذكر عن احمد بن حنبل كلاما لم يقله احمد فانه لم يكن يعرف ما قاله احمد ولا ما
قاله غيره من السلف في هذا الباب ولا ما جاء به القران والحديث وقد سمع بعض ما قاله
الحنابلة ما يقوله طائفة منهم وممن غيرهم من المالكية والشافعية وغيرهم في الحرف والصوت
وبعض الصفات مثل قولهم ان الاصوات المسموعة من القراء قديمة ازلية وان الحروف المتعاقبة
قديمة ازلية وانه ينزل الى سماء الدنيا ويخلو منه العرش حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه
وبعضها تحته الى غير ذلك من المنكرات فانه ما من طائفة الا وفي بعضهم من يقول اقوالا
ظاهرها الفساد وهي التي يحفظها من ينفر عنهم ويشنع بها عليهم وان كان اكثرهم
ينكرها ويدفعها كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض اصحاب احمد ومالك
والشافعي فان جماهير هذه الطوائف ينكرها واحمد وجمهور اصحابه ينكرونها

وكلامهم في انكارها وردها كثير جدا لكن يوجد في اهل الحديث مطلقا من الحنبلية
وغيرهم من الغلط في الاثبات اكثر مما يوجد في اهل الكلام ويوجد في اهل الكلام من
الغلط في النفي اكثر مما يوجد في اهل الحديث لان الحديث انما جاء باثبات الصفات ليس
فيه شي من النفي الذي ابتدعه اهل الكلام والكلام الماخوذ عن الجهمية والمعتزلة مبني
على النفي المناقض لصريح القران والحديث بل وللعقل الصريح ايضا لكن هم يدعون
ان العقل دل على النفي وقد ناقضهم طوايف من اهل الكلام وزادوا في الاثبات كالهشامية
والكرامية وغيرهم لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذمه السلف اكثر والمنتسبون
الى السنة من الحنبلية وغيرهم الذين جعلوا لفظ التاويل يعم القسمين يتمسكون بما يجدونه
في كلام الايمة في المتشابه مثل قول احمد في رواية حنبل ولا كيف ولا معنى ظنوا ان مراده
انا لا نعرف معناها وكلام احمد صريح بخلاف هذا في غير موضع وقد بين انما ينكر تاويل
الجهمية ونحوهم الذين يتاولون القران على غير تاويله وصنف كتابه في الرد على الزنادقة
والجهمية فيما انكرته من متشابه القران وتاولته على غير تاويله فانكر عليهم تاويل
القران على غير مراد الله ورسوله وهم اذا تاولوه يقولون معنى هذه الاية كذا والمكيفون
يثبتون كيفية يقولون انهم علموا كيفية ما اخبر به من صفات الرب فنفى احمد قول
هولا وهولا قول المكيفة الذين يدعون انهم علموا الكيفية وقول المحرفة الذين
يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون معناه كذا وكذا وقد كتبت كلام احمد
بالفاظه كما ذكره الخلال في كتاب السنة وكما ذكره من نقل كلام احمد باسناده في
الكتب المصنفة في ذلك في غير هذا الموضع وبينت ان لفظ التاويل في الاية انما اريد به
التاويل في لغة القران كقوله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين
نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا او نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل وعن ابن عباس في قوله هل ينظرون الا تاويله تصديق
ما وعد في القران وعن قتادة تاويله ثوابه وعن مجاهد جزاؤه وعن
السدي عاقبته وعن ابن زيد حقيقته قال بعضهم تاويله ما يؤول اليه امرهم من
العذاب وورود النار وقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله قال
بعضهم تصديق ما وعدوا به من الوعيد والتاويل ما يؤول اليه الامر وعن
الضحاك يعني عاقبة ما وعد الله في القران انه كاين من الوعيد والتاويل ما يؤول اليه

الامر

الامر وقال الثعلبي تفسيره وليس بشي وقال الزجاج لم يكن معهم علم تاويله
وقال يوسف الصديق عليه السلام يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل فجعل عين سجود
ابويه له تاويل رؤياه وقال قبل هذا لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل
ان ياتيكما اي قبل ان ياتيكما التاويل والمعنى لا ياتيكما طعام ترزقانه في المنام كما قال
احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا الا نباتكما بتاويله
في اليقظة قبل ان ياتيكما التاويل هذا قول اكثر المفسرين وهو الصواب وقال بعضهم
لا ياتيكما طعام ترزقانه تطعمانه وتاكلانه الا نباتكما بتاويله بتفسيره والوانه اي
طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم فقالوا هذا فعل العرافين والكهنة فقال ما انا
بكاهن وانما ذلك العلم مما علمني ربي وهذا القول ليس بشي فانه قال الا نباتكما بتاويله
وقد قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه
نبئنا بتاويله فطلبا منه تاويل ما راياه واخبرهما بتاويل ذلك ولم يكن تاويله طعام في
اليقظة ولا في القران انه اخبرهما بما يرزقانه في اليقظة فكيف يقول قولا عاما لا ياتيكما طعام
ترزقانه وهذا الاخبار العام لا يقدر عليه الا الله والانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
يخبرون ببعض ذلك لا يخبرون بكل ذلك وايضا فصنف الطعام وقدره ليس تاويلا له وايضا
فانه انما اخبر انه علمه تاويل الرويا قال يعقوب عليه السلام وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من
تاويل الاحاديث وقال يوسف قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث و
قال هذا تاويل رؤياي من قبل ولما راى الملك قال الذي ادكر بعد امة انا انبيكم بتاويله
فارسلون والملك قال يا ايها الملا افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث
احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين فهذا لفظ التاويل في مواضع متعددة كلها بمعنى
واحد وقال تعالى فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله و
اليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا قال مجاهد وقتادة جزاء وثوابا وقال
السدي وابن زيد وابن قتيبة والزجاج عاقبة وعن ابن زيد ايضا تصديقا كقوله
هذا تاويل رؤياي من قبل وكل هذه الاقوال صحيحة والمعنى واحد وهذا تفسير السلف
اجمعين ومنه قوله سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فلما ذكر ما ذكر قال ذلك

Copyright © King Saud University

تاويل ما لم تستطع عليه صبرا وهذا تاويل فعل ليس هو تاويل قول والمراد به عاقبة
هذه الافعال بما يوول اليه ما فعلته من مصلحة اهل السفينة ومصلحة ابوي الغلام
ومصلحة اهل الجدار واما قول بعضهم ردكم الى الله والرسول احسن من تاويلكم فهذا قد ذكره
الزجاج عن بعضهم وهذا من جنس ما ذكر في تلك الاية في لفظ التاويل وهو تفسير
له بالاصطلاح الحادث لا بلغة العرب فاما قدماء المفسرين فلفظ التاويل والتفسير
عندهم سوا كما يقول ابن جرير القول في تاويل هذه الاية اي في تفسيرها ولما كان هذا
معنى التاويل عند مجاهد وهو امام التفسير جعل الوقف على قوله والراسخون في العلم
فان الراسخين في العلم يعلمون من تفسيره وهذا القول اختيار ابن قتيبة وغيره
من اهل السنة وكان ابن قتيبة يميل الى مذهب احمد واسحق وقد بسط الكلام على
ذلك في كتابه في المشكل وغيره واما متاخرو المفسرين كالثعلبي فيفرقون بين
التفسير والتاويل قال فمعنى التفسير هو التنوير وكشف المتغلق من المراد بلفظه
والتاويل صرف الاية الى معنى تحتمله يوافق ما قبلها وما بعدها وتكلم في الفرق
بينهما بكلام ليس هذا موضعه الان التاويل الذي ذكره هو المعنى الثالث المتاخر
وابو الفرج بن الجوزي يقول اختلف العلماء هل التفسير والتاويل بمعنى واحد
ام يختلفان فذهب قوم يميلون الى العربية الى انهما بمعنى واحد وهذا قول جمهور
المفسرين المتقدمين وذهب قوم يميلون الى الفقه الى اختلافهما فقالوا التفسير
اخراج الشي عن مقام الخفا الى مقام التجلي والتاويل نقل الكلام عن موضعه الى ما
يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ فهو ماخوذ من قولك آل الشي الى كذا اي
صار اليه فهولا لا يذكرون للتاويل الا المعنى الاول والثاني واما التاويل في لغة
القران فلا يذكرونه وقد عرف ان التاويل في القران هو الموجود الذي يوول اليه الكلام وان
كان ذلك موافقا للمعنى الذي يظهر من اللفظ بل لا يعرف في القران لفظ التاويل مخالفا
لما يدل عليه اللفظ خلاف اصطلاح المتاخرين والكلام نوعان انشا واخبار
فالانشا الامر والنهي والاباحة وتاويل الامر والنهي نفس فعل المامور ونفس ترك
المحظور كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران فكان هذا الكلام
تاويل قوله فسبح بحمد ربك واستغفره قال ابن عيينة السنة تاويل الامر والنهي و
قال ابو عبيد لما ذكر اختلاف الفقها واهل اللغة في نهيه عن اشتمال الصما قال
والفقها اعلم بالتاويل يقول هم اعلم بتاويل ما امر به وما نهي عنه فنفس اعيان الافعال
الموجودة التي امر بها واعيان الافعال المحظورة التي نهي عنها وتفسير الكلام ليس هو
نفس ما يوجد في الخارج بل هو بيانه وشرحه وكشف معناه فالتفسير من جنس الكلام
يفسر الكلام بكلام يوضحه واما التاويل فهو فعل المامور به وترك المنهي عنه ليس من جنس
الكلام والنوع الثاني الخبر كاخبار الرب عن نفسه تعالى باسمائه وصفاته واخباره عما ذكره
لعباده من الوعد والوعيد وهذا هو التاويل المذكور في قوله ولقد جيناهم بكتاب
فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يومنون هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله
يقول الذين نسوه من قبل قد جات رسل ربنا بالحق وهذا كقوله يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ومثله انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير
مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون
ونظايره متعددة في القران وكذلك قوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله و
ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و
لما ياتهم تاويله فان ما وعدوا به في القران لما ياتهم بعد وسوف ياتيهم فالتفسير هو
الاحاطة بعلمه والتاويل هو نفس ما وعدوا به اذا اتاهم فهم كذبوا بالقران الذي لم يحيطوا
بعلمه ولما ياتهم تاويله وقد يحيط الناس بعلمه ولما ياتهم تاويله فان رسول صلى الله عليه وسلم
يحيط بعلم ما انزل الله عليه وان كان تاويله لم يات بعد وفي الحديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم لما نزل قوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية قال
انها كائنة ولم يات تاويلها بعد قال تعالى وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم
بوكيل لكل نبا مستقر قال بعضهم موضع قرار وحقيقة ومنتهى ينتهي اليه فيتبين
حقه من باطله وصدقه من كذبه وقال مقاتل لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان
يقع فيه من غير خلف ولا تاخير وقال ابن السايب لكل قول وفعل حقيقة ما كان

منه في الدنيا فستعرفونه وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم وسوف تعلمون
قال الحسن لكل عمل جزاء فمن عمل عملا من الخير جوزي به في الجنة ومن عمل عملا سوءا جوزي
به في النار وسوف تعلمون ومعنى قول الحسن ان الاعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد
فالوعد والوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر فبين المعنى ولم يرد ان نفس الجزاء
هو نفس النبأ وعن السدي قال لكل نبأ مستقر اي ميعاد وعدتكموه فسيأتيكم حتى
تعرفونه وعن عطاء لكل نبأ مستقر تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه فاذا عمل ذنبه عاقبه اي لا يعاقبهم
بالوعيد حتى يفعلوا الذنب الذي توعدهم عليه ومنه قول كثير من السلف في آيات هذه
ذهب تأويلها وهذه لم يأت تأويلها مثل ما روى ابو الاشهب عن الحسن والربيع عن ابي
العالية ان هذه الآية قرئت على ابن مسعود يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم الآية فقال
ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فاذا ردت عليكم فعليكم
انفسكم ثم قال ان القرآن نزل حيث نزل فمنه آي قد مضى تأويلهن قبل ان ينزلن ومنه
آي وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه آي وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم
بيسير ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آي
يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم
واهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا
فاذا اختلفت القلوب والاهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه
فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية قال ابن مسعود رضي الله عنه فقد ذكر في هذا
الكلام تأويل الامر وتأويل الخبر فهذه الآية عليكم انفسكم من باب الامر وما ذكر
من الحساب والجنة من باب الخبر وقد تبين ان تأويل الخبر هو وجود المخبر به وتأويل الامر
المأمور به هو فعل المأمور به فالآية التي مضى تأويلها قبل نزولها من باب الخبر
يقع شيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول وتكذيبهم لهم وهي وان
مضى تأويلها فهي عبرة ومعناها ثابت في نظيرها ومن هذا قول ابن مسعود
خمس قد مضين ومنه قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر واذا تبين ذلك فالمتشابه
من الامر لا بد من معرفة تأويله لانه لا بد من فعل المأمور وترك المحظور وذلك لا يمكن
الا بعد العلم لكن ليس في القرآن ما يقتضي ان في الامر متشابها لا يعقل [illegible]

لعله فابن مسعود

صح نزولها

قد يراد

٢٥

قد يراد به من الخبر مثل ما اخبر به في الجنة من اللحم واللبن والماء والحرير والذهب كان بين
هذا وبين ما في الدنيا تشابها في اللفظ والمعنى ومع هذا فحقيقة ذلك مخالفة لحقيقة
هذا وتلك الحقيقة لا نعلمها نحن في الدنيا وقد قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا الذي وعد
الله عباده المؤمنين لا تعلمه نفس هو من التأويل الذي لا يعلمه الا الله وكذلك وقت
الساعة لا يعلمه الا الله واشراطها فكذلك كيفيات ما يكون فيها من الحساب والصراط
والميزان والحوض والثواب والعقاب لا يعلم كيفيته الا الله فانه لم يخلق بعد حتى تعلمه
الملائكة ولا له نظير مطابق من كل وجه حتى يعلم به فهو من التأويل المتشابه الذي لا
يعلمه الا الله وكذلك ما اخبر به الرب سبحانه عن نفسه مثل استوائه على عرشه وسمعه و
بصره وكلامه وغير ذلك فان كيفيات ذلك لا يعلمها الا الله كما قال ربيعة بن ابي
عبد الرحمن ومالك بن انس وسائر اهل العلم تلقوا هذا الكلام عنهما بالقبول لما قيل
الرحمن على العرش استوى فقالوا الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة هذا لفظ مالك فاخبر ان الاستواء معلوم وهذا تفسير اللفظ و
اخبر ان الكيف مجهول وهذا هو الكيفية التي استأثر الله بعلمها وكذلك سائر السلف
كالماجشون واحمد بن حنبل وغيرهما يبينون ان العباد لا يعلمون كيفية ما اخبر الله به
عن نفسه فالكيفية هي التأويل الذي لا يعلمه الا الله واما نفس المعنى الذي بينه الله
فيعلمه الناس كل على قدر فهمه فانهم يفهمون معنى السمع ومعنى البصر وان مفهوم
هذا ليس مفهوم هذا ويعرفون الفرق بينهما وبين العليم والقدير وان كانوا لا يعرفون
كيفية سمعه وبصره بل الروح التي يعرفونها من حيث الجملة ولا يعرفون كيفيتها
كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش وانه يتضمن علو الرب على عرشه وارتفاعه
عليه كما فسره بذلك السلف قبلهم وهذا معنى معروف من اللفظ لا يحتمل في
اللغة غيره كما بسط في موضعه ولهذا قال مالك الاستواء معلوم ومن قال الاستواء
له معان متعددة فقد اجمل كلامه فانهم يقولون استوى فقط ولا يصلونه بحرف
وهذا له معنى ويقولون استوى على كذا وله معنى واستوى الى كذا وله معنى واستوى
مع كذا وله معنى فتتنوع معانيه بحسب صلاته واما استوى على كذا فليس في

قد صح

فصل [illegible] على الاستواء [illegible] لعلهم

فاستغلظ

القرآن ولغة العرب المعروفة الا بمعنى واحد قال تعالى فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه وقال
واستوت على الجودي وقال لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وقد
اتي النبي صلى الله عليه وسلم بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال بسم الله فلما استوى على
ظهرها قال الحمد لله وقال ابن عمر اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج لما استوى على
بعيره وهذا المعنى يتضمن شيئين علوه على ما استوى عليه واعتداله ايضا فلا يسمون
المائل على الشيء مستويا عليه ومن حديث الخليل بن احمد لما قال استووا وقوله

ثم استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

هو من هذا الباب فان المراد به بشر بن مروان واستواؤه عليها ان على كرسي ملكها لم يرد
بذلك مجرد الاستيلاء بل استواء منه عليها اذ لو كان كذلك لكان عبد الملك الذي هو الخليفة
قد استولى ايضا على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ولكان عمر بن الخطاب قد
استولى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ولكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد استولى على اليمن وغيرها مما فتحه ومعلوم انه لم يوجد في كلامهم استعمال
الاستواء في شيء من هذا وانما قيل فيمن استوى بنفسه على بلد فانه مستو على سرير ملكه
كما يقال جلس فلان على السرير وقعد على التخت ومنه قوله ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا وقوله اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها
عرش عظيم وقول الزمخشري وغيره استوى على كذا بمعنى ملك دعوى مجردة
فليس لها شاهد في كلام العرب ولو قدر ذلك لكان بهذا المعنى باطلا في استواء
الله على العرش لانه اخبر انه خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
وقد اخبر ان العرش كان موجودا قبل خلق السموات والارض كما دل على ذلك الكتاب
والسنة وحينئذ فهو من حين خلق العرش مالك له مستول عليه فكيف يكون الاستواء
عليه مؤخرا عن خلق السموات والارض وايضا فهو مالك لكل شيء مستول
عليه لا يخص العرش بالاستيلاء وليس هذا كتخصيصه بالربوبية في قوله
رب العرش فانه قد يخص لعظمته ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال
رب العرش ورب كل شيء واما الاستواء المختص بالعرش فلا يقال استوى على
العرش وعلى كل شيء ولا استعمل ذلك احد من المسلمين في كل شيء ولا وجد في

كتاب

كتاب ولا سنة كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة وفي كل شيء عامة وكذلك
لفظ الخلق ونحوه من الالفاظ التي تخص وتعم كقوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الانسان من علق فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش لا تضاف الى غيره
لا خصوصا ولا عموما وهذا مبسوط في موضع اخر وانما الغرض
بيان صواب كلام السلف في قولهم الاستواء معلوم بخلاف من جعل هذا اللفظ
له بضعة عشر معنى كما ذكر ذلك ابن عربي المعافري يبين هذا ان سبب نزول هذه الآية
كان قدوم نصارى نجران ومناظرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في امر المسيح كما ذكر ذلك
اهل التفسير واهل السير وهو من المشهور بل المتواتر فان من المتواتر ان نصارى
نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى المباهلة المذكورة في سورة آل عمران فاقروا
بالجزية ولم يباهلوه وصدر آل عمران نزل بسبب محاجتهم ولهذا عامتها في امر
المسيح وذكروا انهم احتجوا بما في القرآن من لفظ انا ونحن ونحو ذلك على ان الالهة ثلاثة فاتبعوا
المتشابه وتركوا المحكم الذي في القرآن من ان الاله واحد ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله
فانهم قصدوا بذلك الفتنة وهي فتنة القلوب بالكفر وابتغاء تاويل لفظ انا ونحن
وما يعلم تاويل هذه الاسماء الا الله لان هذه الاسماء انما تقال للواحد الذي له اعوان
اما ان يكونوا شركاء واما ان يكونوا مماليك له ولهذا صارت متشابهة فان الذي
معه شريك يقول فعلنا نحن كذا وانا نفعل نحن كذا وهذا ممتنع في حق الله تعالى والذي
له مماليك ومطيعون يطيعونه كالملك يقول فعلنا كذا اي انا فعلت باهل ملكي وملكي
وكل ما سوى الله مخلوق له مملوك له وهو سبحانه يدبر امر العالم بنفسه وملائكته التي هي
رسله في خلقه وامره وهو سبحانه احق من قال انا ونحن بهذا الاعتبار فان ما سواه ليس
له ملك تام ولا امر مطاع طاعة تامة فهو المستحق ان يقول انا ونحن والملوك لهم شبه
بهذا فصار فيه ايضا من المتشابه معنى اخر ولكن الذي يثبت لله من هذا الاختصاص
لا يماثله فيه شيء وتاويل ذلك معرفة ملائكته وصفاتهم واقدارهم وكيف يدبر بهم امر السماء
والارض وقد قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فهذا التاويل لهذا
المتشابه لا يعلمه الا هو وان علمنا تفسيره ومعناه لكن لم نعلم تاويله الواقع

بيان الالهة

في الاخبار جميع ما اخبر به قول الله الذي هو حق وآياته محكمة ليس فيها تشابه فان هذا الاسم
مختص بالله ليس مثل انا ونحن التي تقال لمن له شريك ولمن له اعوان فان اسم الله تعالى
منزه عن هذا وهذا كما قال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير وقال وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك الاية فالمعنى الذي يراد به هذا في حق المخلوقين لا يجوز
ان يكون نظيره ثابتا لله فلهذا صار متشابها وكذلك قوله ثم استوى على العرش فانه
قد قال واستوت على الجودي واستوى على سوقه وقال فاذا استويت انت ومن معك وقال
لتستووا على ظهوره فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوي الى المستوى عليه وانه
لو عدم من تحته لخر والله تعالى غني عن العرش وعن كل شي بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش
وحملة العرش وقد روي انهم انما اطاقوا حمل العرش لما امرهم ان يقولوا لا حول
ولا قوة الا بالله فصار لفظ الاستواء متشابها يلزمه في حق المخلوقين معاني ينزه
الله عنها فنحن نعلم معناه وانه العلو والاعتدال لكن لا نعلم الكيفية التي اختص بها
الرب التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش بل مع حاجة العرش وكل شي
محتاج من كل وجه وانا لم نعهد في الموجودات ما يستوي على غيره مع غناه عن
حاجة ذلك المستوى عليه الى المستوي فصار متشابها من هذا الوجه فان بين
اللفظين والمعنيين قدرا مشتركا وبينهما قدرا فارقا هو مراد في كل منهما ونحن
لا نعرف الفارق الذي امتاز الرب به فصرنا نعرفه من وجه ونجهله من وجه وذلك
هو تاويله والاول هو تفسيره وكذلك ما اخبر الله به في الجنة من المطاعم والمشارب
والملابس كاللبن والعسل والخمر والماء فانا لا نعرف لبنا الا مخلوقا من ماشية يخرج
من بين فرث ودم واذا بقي اياما يتغير طعمه ولا نعرف عسلا الا من نحل يصنعه في
بيوت الشمع المسدسة فليس هو عسلا مصفى ولا نعرف حريرا الا من دود القز وهو
يبلى وقد علمنا ان ما وعد الله به عباده ليس مماثلا لهذا لا في المادة ولا في الصورة
والحقيقة بل له حقيقة تخالف حقيقة هذه وذلك هو من التاويل الذي لا نعلمه نحن
قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء لكن يقال فالملائكة قد تعلم
هذا

هذا فيقال هي لا تعلم ما لم يخلق بعد ولا تعلم كل ما في الجنة وايضا فجملة النعيم لا تعرفه
الملايكه والتاويل يتناول هذا كله واذا قدر انها تعرف ما لا نعرف فذاك لا يكون
من المتشابه عندها ويكون من المتشابه عندنا فان المتشابه قد يراد به ما هو صفة
لازمة للاية وقد يراد به ما هو من الامور النسبية فقد يكون متشابها عند هذا ما لا يكون
متشابها عند هذا وكلام الامام احمد وغيره من السلف يحتمل ان يراد به هذا فان احمد
ذكر في رده على الجهمية انها احتجت بثلاث ايات من المتشابه قوله وهو الله في السموات
وفي الارض وقوله ليس كمثله شي وقوله لا تدركه الابصار وقد فسر احمد قوله وهو
الله في السموات وفي الارض فاذا كانت هذه الايات مما علمنا معناها لم تكن متشابهة
عندنا وهي متشابهة عند من احتج بها وكان عليه ان يردها الى ما يعرفه من المحكم
وكذلك قال احمد في ترجمة كتابه الذي صنفه في الحبس وهو الرد على الزنادقة و
الجهمية فيما شكت فيه من متشابه القران وتاولته على غير تاويله ثم فسر احمد تلك الايات
اية اية فبين انها ليست متشابهة عنده بل قد عرف معناها وعلى هذا فالراسخون
في العلم يعلمون تاويل هذا المتشابه الذي هو تفسيره واما التاويل الذي هو
حقيقته الموجودة في الخارج فتلك لا يعلمها الا الله ولكن قد يقال هذا
المتشابه الاضافي ليس هو المتشابه المذكور في القران فان ذلك قد اخبر الله انه لا
يعلم تاويله الا الله وانما هذا كما يشكل على كثير من الناس ايات لا يفهمون معانيها
وغيرهم من الناس يعرف معناها وعند هذا فقد يجاب بجوابين احدهما
ان يكون في الاية قراءتان قراءة من يقف على قوله الا الله وقراءة من لا يقف عند قوله و
الراسخون في العلم وكلتا القراءتين حق ويراد بالاولى المتشابه في نفسه الذي استاثر
الله بعلم تاويله ويراد بالثانية المتشابه الاضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره
وهو تاويله ومثل هذا يقع في القران كقوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
لتزول فيه قراءتان بالنفي والاثبات وكل قراءة لها معنى صحيح وكذلك القراءة
المشهورة واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقرا طايفة من السلف
لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وكلا القراءتين حق فان الذي يتعدى حدود الله هو

الظالم والتارك للانكار عليه قد يجعله غير ظالم لكونه لم يشاركه وقد يجعله ظالما باعتبار
ما تركه من الانكار الواجب وعلى هذا قوله فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن
السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فانجا الله الناهين واما
اوليك الكارهون للذنب الذين قالوا لم تعظون قوما فالاكثرون على انهم كانوا كارهين
فانكروا بحسب قدرتهم والجواب الثاني القطع بان المتشابه المذكور في
القران هو متشابه في نفسها وذلك الذي لا يعلم تاويله الا الله واما الاضافي الموجود
في كلام من اراد به المتشابه الاضافي فمرادهم انهم تكلموا فيما اشتبه معناه واشكل
معناه على بعض الناس وان الجهمية استدلوا بما اشتبه عليهم واشكل معناه فان
لم يكن هو من المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله وكثيرا ما يشتبه على الرجل ما لا
يشتبه على غيره ويحتمل كلام الامام احمد انه لم يرد الا المتشابه في نفسه الذي يلزم منه
المتشابه لم يرد شي من المتشابه الاضافي وقال تاولته على غير تاويله اي غير
تاويله الذي هو تاويله في نفس الامر وان كان ذلك التاويل لا يعلمه الا الله واهل
العلم يعلمون ان المراد به ذلك التاويل فلا يبقى مشكلا عندهم محتملا لغيره و
لهذا كان التشابه في الخبريات اما عن الله واما عن الاخرة وتاويل هذا كله
لا يعلمه الا الله بل المحكم من القران قد يقال له تاويل كالمتشابه تاويل كما قال
هل ينظرون الا تاويله ومع هذا فذلك التاويل لا يعلم وقته وكيفيته الا الله و
قد يقال بل التاويل للمتشابه لانه في الوعد والوعيد وكله متشابه واما
قولان في كل اية ظنها بعض الناس متشابهة ان تكون من المتشابه فقول احمد
احتجوا بثلاث ايات من المتشابه وقوله ما شكت فيه من متشابه القران قد
يقال ان هولاء او ان احمد جعل بعض ذلك من المتشابه وليس منه فان
قوله تعالى منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات لم يرد به هنا الاحكام
العام والتشابه العام الذي يشترك فيه جميع ايات القران وهو المذكور في
قوله كتاب احكمت اياته ثم فصلت وفي قوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فوصفه هنا كله بانه متشابه اي

متفق

نجوا لانهم

٢٨

متفق غير مختلف يصدق بعضه بعضا وهو عكس المتضاد المختلف المذكور
في قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله انكم لفي قول مختلف يؤفك
عنه من افك فان هذا التشابه يعم القران كما ان احكام اياته يعمه كله وهنا
قد قال منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فجعل بعضه محكما وبعضه
متشابها فصار التشابه له معنيان وله معنى ثالث وهو الاضافي فيقال قد
اشتبه علينا هذا كقول بني اسرائيل ان البقر تشابه علينا وان كان في نفسه
متميزا منفصلا بعضه عن بعض وهذا من باب اشتباه الحق بالباطل كقوله في
الحديث الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس
فدل ذلك على ان من الناس من يعرفها فليست مشتبهة على جميع الناس بل على
بعضهم بخلاف من لا يعلم تاويله الا الله فان الناس كلهم مشتركون في عدم العلم
بتاويله ومن هذا ما روي عن المسيح عليه السلام انه قال الامور ثلاثة امر تبين
رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه
فهذا المشتبه على بعض الناس يمكن الاخرين ان يعرفوا الحق فيه ويميزوا الفرق
بين المشتبهين وهذا هو الذي اراده من جعل الراسخين يعلمون التاويل فان
جعل المتشابهات في القران من هذا الباب الذي يشتبه على بعض الناس دون بعض
ويكون بينهما من الفروق المانعة للتشابه ما يعرفه بعض الناس وهذا المعنى صحيح
في نفسه لا ينكر ولا ريب ان الراسخين في العلم يعلمون ما اشتبه على غيرهم وقد
يكون هذا قراءة في الاية كما تقدم من ان يكون فيها قراءتان لكن لفظ التاويل على
هذا يراد به التفسير ووجه ذلك انهم يعلمون تاويله من حيث الجملة كما
يعلمون تاويل المحكم فيعرفون الحساب والميزان والثواب والعقاب وغير ذلك
مما اخبر الله به ورسوله معرفة مجملة فيكونون عالمين بالتاويل وهو ما يقع في الخارج
على هذا الوجه ولا يعلمونه مفصلا اذ هم لا يعرفون كنهه وحقيقته اذ ذلك ليس
مثل الذي علموه في الدنيا وشاهدوه وعلى هذا يصح ان يقال علموا تاويله وهو معرفة
تفسيره ويصح ان يقال لم يعلموا تاويله وكلا القراءتين حق وعلى قراءة النفي هل
يقال ايضا ان المحكم له تاويل لا يعلمونه تفصيله فان قوله وما يعلم تاويل ما تشابه

ما يعلم

كنهه

Copyright © King Saud University

منه الا الله لا يدل على ان غيره يعلم تاويل المحكم بل قد يقال ان من المحكم ايضا ما لا يعلم تاويله
الا الله وانما خص المتشابه بالذكر لان اولئك طلبوا علم تاويله او يقال بل المحكم يعلمون
تاويله لكن لا يعلمون متى وقت تاويله ومكانه وصفته وقد قال كثير من السلف
ان المحكم ما يعمل به والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به كما يجي في كثير من الاثار ونعمل بمحكمه
ونؤمن بمتشابهه كما جاء عن ابن مسعود وغيره في قوله الذين اتيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
وكلام السلف في ذلك يدل على ان المتشابه امر اضافي فقد يشتبه على هذا ما
لا يشتبه على هذا فعلى كل احد ان يعمل بما استبان له ويكل ما اشتبه عليه الى الله
كقول ابي بن كعب رضي الله عنه في الحديث الذي رواه الثوري عن مغيرة عن
ليس بالضبي عن ابي العالية قال قيل لابي بن كعب اوصني فقال اتخذ كتاب الله
اماما وارض به قاضيا وحاكما هو الذي استخلف فيكم رسول شفيع مطاع وشاهد
لا يتهم فيه خبر ما قبلكم وخبر ما بينكم وذكر ما قبلكم وذكر ما فيكم وقال سفيان
عن رجل حدثناه عن ابن ابزى عن ابي قال ما استبان لك فاعمل به وما
اشتبه عليك فامن به وكله الى عالمه فمنهم من قال المتشابه هو المنسوخ ومنهم من
جعله الخبريات مطلقا فعن قتادة والربيع والضحاك والسدي المحكم
الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به وكذلك في تفسير
العوفي عن ابن عباس قال محكمات القران ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده
وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله
واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به اما القول الاول فهو والله اعلم ماخوذ من قوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته فقابلوا بين المنسوخ وبين
المحكم وهي انما ارخ نسخ ما القاه الشيطان لم ينسخ ما انزله لكن
هم جعلوا جنس المنسوخ متشابها لانه يشبه غيره في التلاوة والنظم وانه كلام
الله وقرآن ومعجز وغير ذلك من المعاني مع ان معناه قد نسخ ومن جعل المتشابه
كل ما لا يعمل به من المنسوخ والاقسام والامثال فلان ذلك متشابه ولم يؤمن

الناس

لعله اما القول الاول فهو والله اعلم ماخوذ من

٢٩

عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قالت عائشة اليس الله يقول فسوف يحاسب حسابا
يسيرا قال انما ذلك العرض قالوا والدليل على ما قلناه اجماع السلف انهم فسروا
جميع القران وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته اقفه
عند كل اية واساله عنها وتلقوا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ابو عبد الرحمن
السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القران عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود
وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يجاوزوها
حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القران والعلم والعمل جميعا و
كلام اهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القران الا ما قد يشكل
على بعضهم فيتوقف فيه لا لان احدا من الناس لا يعلمه لكن لانه هو لم يعلمه وايضا
فان الله قد امر بتدبر القران مطلقا ولم يستثن منه شيا لا يتدبر ولا قال لا تدبروا
المتشابه والتدبر بدون الفهم ممتنع ولو كان من القران ما لا يتدبر لم يعرف فان
الله لم يميز المتشابه بحد ظاهر حتى يجتنب تدبره وهذا ايضا مما يحتجون به و
يقولون ان المتشابه امر نسبي اضافي فقد يشتبه على هذا ما لا يشتبه على غيره قالوا
ولان الله اخبر ان القران بيان وهدى وشفاء ونور ولم يستثن منه شيا عن هذا
الوصف وهذا ممتنع بدون فهم المعنى قالوا ولان من العظيم ان يقال ان الله انزل
على نبيه كلاما لم يكن يفهم معناه لا هو ولا جبريل بل وكذا على قول هولاء كان النبي صلى
الله عليه وسلم يحدث باحاديث الصفات والقدر والمعاد ونحو ذلك مما هو نظير
متشابه القران عندهم ولم يكن يعرف معنى ما يقوله وهذا لا يظن باقل الناس وايضا
فالكلام انما المقصود به الافهام فاذا لم يقصد به ذلك كان عبثا وباطلا والله تعالى
قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث فكيف يقول الباطل والعبث ويتكلم بكلام
ينزله على خلقه لا يريد به افهامهم وهذا من اقوى حجج الملحدين وايضا فما في القران
اية الا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم في معناها وبينوا ذلك واذا قيل
فقد يختلفون في بعض ذلك قيل كما قد يختلفون في ايات الامر والنهي مما
اتفق المسلمون على ان الراسخين في العلم يعلمون معناها وهذا ايضا مما يدل

باحسان

على ان الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه فان المتشابه قد يكون في ايات الامر
والنهي كما يكون في ايات الخبر وتلك مما اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعناها فكذلك
الاخرى فانه على قول النفاة لم يعلم معنى المتشابه الا الله لا ملك ولا رسول ولا عالم و
هذا خلاف اجماع المسلمين في متشابه الامر والنهي وايضا فلفظ التاويل
يكون للمحكم كما يكون للمتشابه كما دل القران والسنة واقوال الصحابة على ذلك وهم
يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه واي فضيلة في المتشابه حتى ينفرد الله بعلم
معناه والمحكم افضل منه وقد بين معناه لعباده فاي فضيلة في المتشابه حتى
يستاثر الله بعلم معناه وما استاثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل به خطابا
ولم يذكر في القران اية تدل على وقت الساعة ونحن نعلم ان الله استاثر باشياء لم يطلع
عباده عليها وانما النزاع في كلام انزله واخبر انه هدى وبيان وشفا وامر بتدبره
ثم يقال ان منه ما لا يعرف معناه الا الله ولم يبين الله ورسوله ذلك القدر الذي لا
يعرف احد معناه ولهذا صار كل من اعرض عن ايات لا يؤمن بمعناها جعلها
من المتشابه بمجرد دعواه ثم سبب نزول الاية قصة اهل نجران وقد احتجوا بقوله
انا ونحن وبقوله كلمة منه وروح منه وهذا قد اتفق المسلمون على معرفة معناه فكيف
يقال ان المتشابه لا يعرف معناه لا الملائكة ولا الانبيا ولا احد من السلف وهو من
كلام الله الذي انزله الينا وامرنا ان نتدبره ونعقله واخبر انه بيان وهدى
وشفا ونور وليس المراد من الكلام الا معانيه ولولا المعنى لم يجز التكلم بلفظ لا
معنى له وقد قال الحسن ما انزل الله اية الا وهو يحب ان يعلم فيما ذا انزلت
وما ذا عنى بها ومن قال ان سبب نزول الاية سؤال اليهود عن حروف المعجم في
الم بحساب الجمل فهذا نقل باطل اما اولا فلانه من رواية الكلبي واما ثانيا فهذا
قد قيل انهم قالوه في اول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وسورة ال عمران
انما نزل صدرها متاخرا لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر وفيها
فرض الحج وانما فرض سنة تسع او عشر لم يفرض في اول الهجرة باتفاق المسلمين و
اما ثالثا فلان حروف المعجم ودلالة الحرف على بقا هذه الامة ليس هو من تاويل
القران الذي استاثر الله بعلمه بل اما ان يقال انه ليس مما اراده الله بكلامه

هذه الرابع

ولا

ولا يقال ان امة تعرف بعلمه بل دعوى دلالة الحروف على ذلك باطل واما ان يقال بل يدل عليه
وقد علم بعض الناس ما يدل عليه وحينئذ فقد علم الناس ذلك واما دعوى دلالة
القران على ذلك وان احدا لا يعلمه فهذا هو الباطل وايضا فاذا كانت الامور العلمية التي اخبر
الله بها في القران لا يعرفها الرسول كان هذا من اعظم قدح الملاحدة فيه وكان هذا حجة
لما يقولونه من انه كان لا يعرف الامور العلمية او انه كان يعرفها ولم يبينها بل هذا القول
يقتضي انه لم يكن يعلمها فان ما لا يعلمه الا الله لا يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره
وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول ان في القران
ايات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره نعم قد يكون في القران ايات لا يعلم معناها
كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك في ايات معينة بل قد يشكل على هذا ما
يعرفه هذا وذلك تارة يكون لغرابة اللفظ وتارة لاشتباه المعنى بغيره وتارة
لشبهة في نفس الانسان تمنعه من معرفة الحق وتارة لعدم التدبر التام وتارة لغير
ذلك من الاسباب فيجب القطع بان قوله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في
العلم يقولون امنا به ان الصواب قول من يجعله معطوفا ويجعل الواو للعطف
المفرد على مفرد ويكون كلا القولين حقا وهي قرآتان والتاويل المنفي غير التاويل
المثبت وان الصواب هو قول من يجعلها واو استيناف ويكون التاويل المنفي
علمه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره وهذا فيه نظر وابن عباس جا عنه
انه قال انا من الراسخين الذين يعلمون تاويله وجا عنه ان الراسخين لا يعلمون
تاويله وجا عنه انه قال التفسير على اربعة اوجه تفسير تعرفه العرب من
كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه
الا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب وهذا القول يجمع القولين ويبين ان العلماء
يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم وان فيه ما لا يعلمه الا الله فاما من جعل
الصواب قول من جعل الوقف عند قوله الا الله وجعل التاويل بمعنى التفسير
فهذا خطا قطعا واما التاويل بالمعنى الثالث او هو صرف اللفظ عن الاحتمال
الراجح الى الاحتمال المرجوح فهذا الاصطلاح لم يكن يعرف بعد عرف في وقت الصحابة
ولا التابعين بل ولا الائمة الاربعة ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفا

Copyright © King Saud University

في القرون الثلاثة بل ولا علمت احدا منهم خص لفظ التاويل بهذا ولكن لما صار
تخصيص لفظ التاويل بهذا هو الغالب على عرف كثير من المتاخرين فظنوا ان التاويل
في الاية هذا معناه صاروا يعتقدون ان للمتشابه القران معاني تخالف ما
يفهم منه وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا شيعا والمتشابه المذكور الذي كان
سبب نزول الاية لا يدل ظاهره على معنى فاسد وانما الخطاء في فهم السامع نعم
قد يقال ان مجرد هذا الخطاب لا يبين كمال المطلوب ولكن فرق بين عدم دلالته على
المطلوب وبين دلالته على نقيض المطلوب وهذا الثاني هو المنفي بل ليس في القران
ما يدل على الباطل البتة كما قد بسط في موضعه ولكن كثير من الناس يزعم
ان لظاهر الاية معنى اما معنى يعتقده واما معنى باطلا فيحتاج الى تاويل و
يكون ما قاله باطلا لا تدل الاية على معتقده ولا على المعنى الباطل وهذا كثير
جدا وهؤلاء هم الذين يجعلون القران كثيرا ما يحتاج الى التاويل المحدث و
هو صرف اللفظ عن مدلوله الى خلاف مدلوله ومما يحتج به من قال الراسخون
في العلم يعلمون التاويل ما ثبت في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا له وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فقد دعا له بعلم
التاويل مطلقا وابن عباس فسر القران كله قال مجاهد عرضت
المصحف على ابن عباس من اوله الى اخره اقفه عند كل اية واساله عنها وكان يقول
انا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تاويله وايضا فالنقول المتواترة عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه تكلم في جميع معاني القران من الامر والخبر وله من الكلام
في الاسماء والصفات والوعد والوعيد والقصص ومن الكلام في الامر والنهي والاحكام
ما يبين انه كان يتكلم في جميع معاني القران وايضا فقد قال ابن مسعود ما من اية
في كتاب الله الا وانا اعلم فيما ذا انزلت وايضا فانهم متفقون على ان ايات الاحكام
يعلم تاويلها وهي نحو خمس مائة اية وسائر القران خبر عن الله واسمائه وصفاته او
عن اليوم الاخر والجنة والنار او عن القصص وعاقبة اهل الايمان وعاقبة اهل
الكفر فان كان هذا هو المتشابه الذي لا يعلم معناه الا الله فجمهور القران لا يعرف
احد معناه لا الرسول ولا احد من الامة ومعلوم ان هذا مكابرة ظاهرة
وايضا فمعلوم ان العلم بتاويل الرؤيا اصعب من العلم بتاويل الكلام الذي
يخبر به فان دلالة الرؤيا على تاويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدي لها جمهور

الناس

بين لعله

الناس بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه فاذا كان الله قد علم عباده تاويل الاحاديث
التي يرونها في المنام فلان يعلمهم تاويل الكلام العربي المبين الذي انزله على انبيائه بطريق
الاولى والاحرى وقال يعقوب ليوسف عليهما السلام وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
من تاويل الاحاديث وقال يوسف رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث
وقال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما وايضا فقد ذم الله الكفار
بقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله وقال ويوم نحشر من كل امة
فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما
اماذا كنتم تعملون وهذا ذم لمن كذب بما لم يحط بعلمه فما قاله الناس من الاقوال المختلفة
في تفسير القران وتاويله ليس لاحد ان يصدق بقول دون قول بلا علم ولا يكذب بشيء منها
الا ان يحيط بعلمه وهذا لا يمكن الا اذا عرف الحق الذي اريد بالاية فيعلم ان ما سواه
باطل فيكذب بالباطل الذي احاط بعلمه واما اذا لم يعرف معناها ولم يحط بشيء منها
علما فلا يجوز له التكذيب بشيء منها مع ان الاقوال المتناقضة بعضها باطل قطعا
ويكون حينئذ المكذب بالقران كالمكذب بالاقوال المتناقضة والمكذب بالحق كالمكذب
بالباطل وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم وايضا فان من بنى على ما يعتقده من
انه لا يعلم معاني الايات الخبرية الا الله لزمه ان يكذب كل من احتج باية من القران خبرية
على شيء من الامور الايمان بالله واليوم الاخر ومن تكلم في تفسير ذلك وكذلك يلزم
مثل ذلك في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان قال المتشابه هو بعض الخبريات
لزمه ان يبين فصلا يتميز به ما يجوز ان يعلم معناه من ايات القران وما لا يجوز ان
يعلم معناه بحيث لا يجوز ان يعلم معناه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا احد من
الصحابة ولا غيرهم ومعلوم انه لا يمكن احدا ذكر حد فاصل بين ما يجوز ان يعلم
معناه بعض الناس وبين ما لا يجوز ان يعلم معناه احد ولو ذكر انتقض عليه فعلم ما ذكرتم
ان المتشابه ليس هو الذي لا يمكن احدا معرفة معناه وهذا دليل مستقل في المسئلة
وايضا فقوله لم يحيطوا بعلمه وكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما ذم لهم على عدم الاحاطة
مع التكذيب ولو كان الناس كلهم مشتركين في عدم الاحاطة بعلم المتشابه لم يكن
في ذمهم بهذا الوصف فائدة ولكان الذم على مجرد التكذيب فان هذا بمنزلة ان

Copyright © King Saud University

تعالى أكذبتم بما لم تحيطوا به علما والمتشابه لا يعلمه الا الله ومن كذب بما لا يعلمه الا الله
كان أقرب إلى الذم ممن يكذب بما يعلمه الناس فلو لم يحط به علما الراسخون كان تركه
هذا الوصف أقرب في ذمهم ممن ذكره ويتبين هذا بوجه آخر وهو دليل في المسألة
وهو أن الله ذم الزائغين بالجهل وسوء القصد فإنهم المتشابه يبتغون تأويله و
لا يعلم تأويله الا الراسخون في العلم وليسوا منهم وهم يقصدون الفتنة لا يقصدون
العلم والحق وهذا كقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم
معرضون فإن المعنى لو لم يقولوا أسمعهم أفهمهم القرآن بقوله لو علم الله فيهم حسن قصد
وقبول للحق لأفهمهم القرآن لكن لو أفهمهم لتولوا عن الإيمان وقبول الحق لسوء قصدهم
فهم جاهلون ظالمون كذلك الذين في قلوبهم زيغ هم مذمومون بسوء القصد
مع طلب علم ما ليسوا من أهله وليس إذا عيب هؤلاء على العلم ومنعوه يعاب من
حسن قصده وجعله الله من الراسخين في العلم فإن قيل فأكثر السلف
على أن الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل وكذلك أكثر أهل اللغة روي هذا عن ابن
مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعروة وقتادة وعمر بن عبد العزيز والفراء
وأبي عبيد وثعلب وابن الأنباري قال ابن الأنباري في قراءة عبد الله
إن تأويله الا عند الله والراسخون في العلم وفي قراءة أبي وابن عباس ويقول
الراسخون في العلم قال وقد أنزل الله في كتابه أشياء استأثر بعلمها كقوله تعالى قل
إنما علمها عند الله وقوله وقرونا بين ذلك كثيرا فأنزل المحكم ليؤمن به المؤمن
فيسعد ويكفر به الكافر فيشقى قال ابن الأنباري والذي روى القول الآخر
عن مجاهد هو ابن أبي نجيح ولا تصح رواية التفسير عن مجاهد قيل فقول القائل
إن أكثر السلف على هذا قول بلا علم فإنه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قال إن الراسخين
في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون
وما ذكر من قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ليس لها إسناد يعرف حتى يحتج بها و
المعروف عن ابن مسعود أنه كان يقول ما في كتاب الله آية الا وأنا أعلم فيما أنزلت
وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان
وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات
لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل وهذا أمر مشهور رواه الناس عامة
أهل الحديث والتفسير وله إسناد معروف بخلاف ما ذكر من قراءتهما وكذلك

ابن عباس

Copyright © King Saud University